تفسیر

سورتی یوسف و نوح علیہما السلام

جمعية القرآن الكريم

الكتاب : تفسير سورتي يوسف ونوح عليهما السلام

إعداد ونشر : جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد

الطبعة الأولى : ذو القعدة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م - بيروت-لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة

تفسیر

سورتی یوسف و نوح علیہما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ (١)

نعم إن هذا الكتاب الإلهي العظيم الخالي من التعقيد والمجسد لعناصر التأثير من حيث عذوبة ألفاظه وجاذبيتها، وحيوية عباراته وصراحتها في عرض المطالب ترغيباً وتهديداً، وطبيعة قصصه الواقعية ذات المحتوى الاجتماعي والاعتقادي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي الى غير ذلك، بالاضافة الى قوة دلائله وإحكامها ومنطقه المتين، واحتوائه على كل ما يلزم من عناصر التأثير... لذا فإن القلوب المهيأة لقبول الحق والمتفاعلة مع منطق الفطرة والمستوعبة لمنهج العقل تنجذب بصورة متميزة والشاهد على هذا أن التاريخ الاسلامي يذكر لنا قصصاً عديدة عجيبة محيرة من حالات التأثير العميق الذي يتركه القرآن الكريم على القلوب الخيرة.

ولكن ما العمل حينما تكون روح الحياة لبذرة ما ميتة، حتى لو هيأ لزراعتها أخصب الأرض، وسقيت بماء الكوثر، واعتني بها من قبل أمهر المزارعين، فإنها لن تنمو ولن تزهر وتثمر أبداً.

---

(١) القمر: ١٧

ونحن في جمعية القرآن الكريم، نعمل من خلال هذا الكتاب المقدس من أجل هداية الانسان الى طريق الرشاد، بأحسن الأساليب ليصل الفرد والمجتمع من خلال العمل بكلام الوحي الى سعادة الدارين، يقول الامام القائد السيد علي الخامنئي (دام ظله): «**القرآن يهدي الانسان الى أفضل طريق، وأفضل عمل، وأفضل أسلوب، وأفضل الأخلاق، وأفضل الأساليب العملية، للفرد وللمجتمع**».

نسأل الله عز وجلّ لجميع الساعين للقرب من ربّ الخلائق أجمعين ليحصلوا على نور الهداية والمعرفة والرحمة وأن يوفقهم لذلك، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

جمعية القرآن الكريم

دائرة الدراسات

سُورَةُ يُوسُفَ

هي مكية، وقد نقل الطبرسي عن ابن عباس أن ٤ آيات منها مدنية: الآيـة الأولى والثانيـة والثالثة والسابعـة، ومجموع آياتهـا مائة وإحدى عشرة آية.

فضلها:

وردت فـي الروايـات فضائل مختلفـة في تلاوة هـذه السورة، نذكر منهـا مـا قاله النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: «**علمـوا ارقاءكم سـورة يوسـف عليه السلام فإنه أيمـا مسلـم تلاها وعلمها أهله ومـا ملكت يمينه هوّن الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً**».

وعـن الامام الصادق عليه السلام قال: «**من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو في كل ليلة، بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف عليه السلام، ولا يصيبه فزع يوم القيامة، وكان من خيار عباد الله الصالحين**»[1]

جـاء في بعض الروايات التأكيد على تعليـم سورة «**النور**» المشتملة علـى آيات الحجـاب للنساء، بدلاً من سـورة يوسف عليه السلام لعل السر في ذلـك هـو ما في الآيات من ارتبـاط بإمرأة عزيز مصـر وأنها قد تكون سببـاً لتحريك بعض النساء، ولكن سنـد تلك الروايـات بشكل عام لا يعتمـد عليه، إضافة الى الرواية الأولى التي ذكرناها واشارت الى تعليم هذه السورة للعائلة.

---

(١) مجمع البيان في بداية تفسير السورة

ما ورد في فضائل سور القرآن، ليس معناها القراءة السطحية دون تفكر وعمل، بل تلاوة تكون مقدمة للتفكر الذي يجرُّ الى العمل.

محتوى السورة:

القرآن عكس في ثنايا هذه القصة اسمى دروس العفة وضبط النفس والتقوى والايمان، حتى لو أن إنساناً قرأها عدّة مرات فإنه يتأثر عند كل قراءة بأسلوبها الجذّاب، ولذا فقد عبر عنها بـ (أحسن القصص) وجعل فيها عبرة لـ (أولي الألباب)

١- جميع آيات هذه السورة سوى الآيات القليلة التي تقع في نهاية السورة تبين قصة نبي الله يوسف عليه السلام لذلك سميت بإسمه.

٢- التدقيق في هذه السورة الواقعية، يكشف أن القرآن معجز في جميع أبعاده، لأن الأبطال الذين يقدّمهم في قصصه أبطال حقيقيون لا خياليون:

فإبراهيم عليه السلام : البطل الذي حطّم الأصنام بروحه العالية التي لا تقبل المساومة مع الطغاة.

ونوح عليه السلام : بطل الصبر والاستقامة والشفقة والقلب المحترق في ذلك العمر الطويل المبارك.

وموسى عليه السلام : البطل المربي لقومه اللجوجين، والذي وقف بوجه فرعون طاغٍ وعاصٍ.

ويوسف عليه السلام : بطل الورع والتقوى والطهارة.. أمام امرأة محتالة جميلة عاشقة.

من خلال هذا تتجلى القدرة البيانية للوحي القرآني في قضية حساسة يذكر احداثها بدقة متناهية، ولكن تحفّها أشعة قوية من التقوى والطهارة.

قصة يوسف عليه السلام قبل الاسلام وبعده:

هذه القصة مشهورة ومعروفة بين الناس قبل الاسلام، لأنها مذكورة في ١٤ فصلاً من (سفر التكوين) في التوراة، والمطالعة الدقيقة فيها تكشف مدى الاختلاف بين ما جاء في التوراة وما جاء في القرآن.

وبالمقارنة بين نصّ التوراة ونص القرآن نجد أن نص القصة في القرآن في غاية الصدق والخلوّ من أي أنواع الخرافات.

خصائص هذه السورة:

أ- إن من خصائص قصة يوسف عليه السلام أنها ذكرت في مكان واحد من القرآن، على خلاف قصص الأنبياء التي ذُكرت على شكل فصول مستقلة في سور متعددة من القرآن.

وهذه الخصوصية إنما كانت لأن تفكيك فصول هذه القصة يفقدها ترابطها وانسجامها ويجب أن تذكر كاملة في مكان واحد للحصول على النتيجة المتوخاة منها.

ب- الخصيصة الأخرى، هي أن قصص الأنبياء والتي وردت في السور الأخرى تبين عادة مواجهة الأنبياء لقومهم المعاندين والطغاة، ثم تنتهي الحالة الى ايمان جماعة بالأنبياء ومخالفة جماعة أخرى لهم الى أن ينالوا عذاب الله تعالى وعقابه.

أما في قصة يوسف عليه السلام فلا كلام عن مثل هذا الموضوع، بل أكثر ما فيها بيان حياة يوسف نفسه وعبوره من المزالق الشديدة التي تنتهي أخيراً الى حكومة «**قوية** «**وهي في حد ذاتها** «**أنموذج**» خاص.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾
قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ

بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

اللغة والبيان:

رؤيـــــاك: الرؤيا تصور المعنى في المنام وتوهم الابصار.

فـيـكـيـدوا: الكيد طلب الحيلة.

يـجـتـبـيـك: يختارك.

تـــأويـــل: الشيء الاخبار بمآله وعاقبته.

آيـــــات : المراد بها هنا العبر.

عـصـبـة: الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض.

غيابة الجُبّ: غـوره وما غاب منه عن عيـن الناظر، وكل ما غيب شيئاً وستره فهو غيابة.

الـسّـيّـارة: جمع سيّار، وهو المسافر.

يـــرتـــع : أي يتنعم.

التفسيـــر:

أحسن القصص

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١)

تبـدأ السورة بالحـروف المقطعة «ألـف. لام. راء» وهـي دلالة على عظمـة القرآن، وأن تركيب هذه الآيات ذات المحتوى العميق متكوّن من أبسـط الأجزاء، وهي حروف الهجاء «**ألف.باء...الخ** «**وقد تحدثنا عن الحـروف المقطعة في بداية سـورة مريم (عليها السلام) فلا حاجة للتكرار. تلك إشارة الى آيات هذه السورة، والكتاب المبين هو القرآن المظهر لحلال الله وحرامه وللمعاني المرادة فيه.**

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

المعنى ظاهر، وهو أن الله سبحانه أنزل القرآن بلغة العرب ليدركوا سـرّه وعظمتـه، ويعقلوا معانيه، ويعملوا بهـا، روى ابن عباس عن النبي ﷺ قـال: «**أحبُّ العرب لثلاث لأني عربي والقـرآن عربي وكلام أهل الجنـة عربـي**»، وحبذا لو أستفيـد بجزءٍ من الأوقـاف العامة والحقوق الشرعيـة لانتشـار اللغـة العربيـة وبناء كليـات لهذه الغاية فـي البلاد الاسلامية وكل بلد فيـه مسلمون من غير العرب ففي ذلك خدمة جليلة وعظيمة للمسلمين ولمعرفة القرآن الكريم.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣)

المَـراد بالقَصـص أنبـاء الرسل التي جـاءت في القـرآن الكريم، وهـي أحسن الأنباء لما فيها مـن العبر والحكم (وإن كنت من قبله لمن

الغافليـن) عن هـذه الأنباء لأنها حدثت منذ قـرون، وهي مجهولة على وجه العموم، وهذا دليل قاطع على أنها وحي من الله عز وجلّ.

بداية قصة يوسف عليه السلام :

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤)

ابتـدأ سبحانـه بقصة يوسف عليه السلام وهو ابن يعقـوب بن اسحاق بن ابراهيـم الخليل عليه السلام ويسمى يعقوب إسرائيـل أيضاً، وكان معناه عبد الله الخالص، أمـا اليوم فـإن اسرائيـل الدولة الصهيونيـة فهي عبد التسلط والاستعمار وقاعدته.

فـي ذات يوم رأى يوسف عليه السلام رؤيـا قصّها على أبيه يعقوب عليه السلام ، وهي أنه رأى في منامه أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سُجداً له، فعلم أبـوه أن هـذه الرؤيا صادقـة، واستبشر خيراً بمستقبـل ولده، وقد ذكر المفسـرون أن عمر يوسـف عليه السلام كان أنذاك سبع سنيـن، وكان جميل الهيئـة، يضـرب المثل بحسنه وجمالـه، كما يظهر مـن مجرى القصة وحوادثهـا، أمـا الشمـس والقمر فأبـواه والكواكب فهـم اخوته هذا في التأويل.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٥)

خـاف عليـه أبوه من إخوتـه إن هم سمعوا منه ما سمـع، وفهموا ما فهم، لأنه يعرف غيرتهم مما خصه به من الحب والاعزاز، فنصحه أن لا يحدثهـم برؤياه خشية أن يثر حقدهـم، وأن يغريهم الشيطان بالكيد

له، ونصب الحبائل لهلاكه.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦)

أي يصطفيك على غيرك، ويفيض عليك بأنواع الكرامات، وقيل: المراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا، لأن يوسف عليه السلام قد بلغ الغاية في تفسيرها ومعرفة مآلها ولكن ظاهر اللفظ أعم من ذلك.

والأنسب بنبوة يوسف عليه السلام أن يكون تأويل الأحاديث كناية عن معرفة الحقائق، وأن الله سبحانه سيعلمه ما لم يكن يعلم.

وأما نعم الله سبحانه عليه فهي لا تعد ولا تحصى، وأكملها اطلاقاً النبوة والرسالة، وقد أنعم الله تعالى بها على ابراهيم عليه السلام جد يعقوب، وعلى اسحاق عليه السلام جد يوسف، وعلى يعقوب عليه السلام نفسه، وسينعم بها على يوسف عليه السلام بعد هذه الرؤيا، وعلى أكثر من واحد من أحفاد يعقوب، إن ربك عليم بمن يجتبيه ويصطفيه للنبوة والرسالة، حكيم في هذا الاصطفاء وفي جميع قضاياه.

مواجهة إخوة يوسف عليه السلام :

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (٧)

أي في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته عبر ومواعظ تستحق أن يسأل عنها الناس، وأيضاً في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها دلائل قاطعة على صدقه في رسالته.

وإخوة يوسف عليه السلام هم: روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا

وريالـون ويشجر وأمهم ليا، وهي ابنة خالـة يعقوب عليه السلام ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف عليه السلام وبنيامين،وولد لـه من سريتيـن له اسم احداهمـا زلفة والأخرى بلهـه اربعة بنين دان ونفتالي وحاد وآشر وكانوا اثني عشر ولداً.

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مبين﴾ (٨)

لمَّـا رأى أبنـاء يعقـوب عليه السلام ميل أبيهـم الى يوسـف عليه السلام وأخيه بنيامين وهمـا مـن أم ثانية اسمهـا راحيل غلـى الحقـد والحسد في قلوبهـم، وقال بعضهم لبعض: مـا الذي حمل هذا الشيـخ على أن يؤثر هذيـن الصبيين علينا، ونحن أكبر سنـاً، وأشد قوة وأكثر نفعاً وخدمة. إن هذا هو الحيف والضلال..

أثر الحسد المدمّر:

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صالحين﴾ (٩)

لقد تآمروا على قتلـه، لا شيء باعترافهم إلا ليحتكروا عطف أبيهم مـن دونـه.. وهذا هـو منطق الاحتـكار والأنانيـة.. اقتل وشـرد.. حتى الأقـارب والأرحـام حرصاً على الأربـاح والمكاسب الآنيـة، فهم أرادوا صلاح شأنهم مع أبيهم، وأن يتفرغ لهم وحدهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٠)

القائل هو روبين ابن خالة يوسف عليه السلام نهى عن قتله، وأشار عليهم أن يرموه في قعر البئر يتناوله بعض المسافرين فيذهبوا به الى ناحية أخرى، فليكن هذا فعلكم دون القتل، وقد كان في نيته أن يخرجه من الجب بعد ذهاب اخوته.

المؤامرة المشؤومة:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (١١)

أي مالك لا تثق بنا ولا تعتمد علينا في أمر يوسف عليه السلام ونحن مخلصون في إرادة الخير به، هكذا الغادر الماكر في كل زمان ومكان، ذئب في جلد حمل.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٢)

سألوا أباهم أن يرسله معهم الى مرتعهم الذي كانوا يخرجون إليه ماشيتهم ليرتع ويلعب هناك ويفرح، ووعدوه بأنهم سيحرسونه من كل مكروه.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (١٣)

اعتذر إليهم بأنه لا يطيق فراق يوسف عليه السلام ، فضاعف هذا العذر من حقدهم على يوسف عليه السلام ، أيضاً اعتذروا بأنه يخاف عليه من الذئب – وكانت أرضهم مذأبة – فينال منه وأنتم مشغولون بأشغالكم.

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (١٤)

أي نحن جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا نمنعه منه، فنكون كالذين تذهب عنهم رؤوس أموالهم على رغم منهم، فإذا عجزنا لا نصلح لشيء، ونقع بالخسارة.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى

ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ

هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

اللغة والبيان:

نستبق: الاستباق من السبق، ومنه المسابقة، ويكون برمي السهام على الخيل والابل، وعلى الاقدام.

متاعنا: المراد به هنا ما يحمله المسافر من زاد ولباس.

سوّلت: زيّنت.

واردهم: الوارد هو الذي يتقدم القوم ليستقي لهم.

يا بشرى: كلمة تقال عند البشارة، مثل يا عجباً تقال عند التعجب.

وأسرّوه: أي أنهم وجدوه في الجب: وقالوا: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم.

بضاعة: أي سلعة ومكسب.

وشروه: أي باعوه.

بخس: نقص من الحق، يقال: بخسه الكيل إذا أعطاه دون حقه.

أكرمي مثواه: الثواء الاقامة، والمثوى موضع الاقامة، والمراد بأكرمي مثواه أحسني معاملته.

مكّنا ليوسف في الأرض: جعلنا له مكانه فيها.

بلغ أشده: أي استكمل قوته جسماً وعقلاً.

وراودته: المراودة المطالبة برفق ولين مع ضرب من المخادعة.

هيت: أقبل أو أسرع.

وهمّ: لها معانٍ، منها العزم، ومنها خطور الشيء بالبال دون العزم عليه، ومنها الرغبة كقول القائل: هذا أهم الأشياء إليّ.

واستبقا الباب: تسابقا إليه.

قُدّت: شقّ الشيء طولاً أي قطعت قميصه طولاً من خلف.

وألفيا: أي وجدا.

شغفها: أي بلغ شغاف قلبها، وهو غلاف القلب على هيئة الكيس.

التفسير:

الكذب المفضوح:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥)

فلما نفذوا ما أجمعوا عليه، وهم يحسبون أنهم قد أصابوا ما

يريـدون.. ولكن يوسف عليه السلام فوّض أمره الى الله سبحانه فوقاه سيئات مكرهـم، فألقـى الله تعالى في روعـه أنك ناج من محنتـك هذه، وأنك سوف تخبرهم بصنيعهم، هذا دون أن يعرفوا من أنت.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦)

يعنـي وانقلـب إخـوة يوسف عليه السلام الـى ابيهم ليـلاً، ليلبسـوا على أبيهـم وليكونوا أجرأ على الاعتذار، وإنما أظهـروا البكاء ليوهموا أنهم صادقـون، يـروى أن امرأة خاصمت رجـلاً عند القاضـي وبكت، فقال بعضـ مـن حضر للقاضي: ما أظـن هذه البائسـة الا مظلومة. فقال له القاضي: إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧)

أي يـا أبَانَـا إنا معشـر الأَخوة ذهبنا الـى البيداء نتسابـق، وتركنا يوسـف عليه السلام عند رحلنا ومتاعنا فأكله الذئب، ومـن خيبتنا ومسكنتنا أنك لست بمصدق لنا فيما نقوله، ونخبر به ولو كنا صادقين فيه.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨)

معنـاه أن إخـوة يوسف عليه السلام جـاؤوا أباهم ومعهـم قميص يوسف عليه السلام ملطخاً بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب، وقيل أنهم ذبحـوا سخلة وجعلوا دمها على قميصه وقيل ظبياً ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطر ببالهم أن الذئب إذا أكل إنساناً فإنه يمزق ثوبه، ليس الأمر على ما تخبرون،بل وسوست لكم أنفسكم فيه امراً علمتموه.

جاء في بعض الروايـات أن يعقوب عليه السلام أخذ قميص يوسف عليه السلام وهو يقلّبه ويقول: فأين مكان أنياب الذئب وأظفاره ؟! وفي رواية أخرى: ألقى القميص على وجهه وطفق يبكي، ويقول: أي ذئب مشفق هذا الذي أكل ولدي ولم ينل قميصه منه سوء ؟! ثم غشي عليه وسقط على الأرض كالخشبة اليابسة، فصاح بعض الاخوة: ويلنا من عدل الله يوم القيامة، فقدنـا أخانا وقتلنا أبانا وبقـي الأب مغشياً عليه حتى السحر، فلما هبّ النسيم ومرّ بوجهه أفاق من غشيته.

وبالرغـم مـن احتراق قلبه وتلهّب روحه لم يجـر على لسانه ما يدل علـى عدم الشكر أو اليأسـ أو الفزع أو الجزع، بل صبـر مستعيناً بالله تعالى على تحمّل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف عليه السلام في الجب ثلاثة أيام.

نحو أرض مصر:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

جـاءت جماعـة من قبـل مدين يريـدون مصـر فأخطـأوا الطريق فانطلقـوا يهيمـون على غير الطريـق حتى نزلوا قريباً مـن الجب وكان بعيـداً عن العمران وهو للرعاة والمـارة وكان ماؤه مالحاً فعذب، فبعثوا مـن يطلـب لهم الماء يقال بعثـوا رجلاً يقال له مالك بـن زعر، فأرسل دلـوه في البئـر ليستقي فتعلق يوسـف عليه السلام بالحبل فلما خـرج إذا هو بغـلام أحسن ما يكون من الغلمان: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أعطي يوسف شطر الحسن، والنصف الآخر لسائر الناس.

قال مالك: (يا بشرى هذا غلام) وقيل أن بشرى رجل من أصحابه ناداه، فأخفوه بضاعة يقصد بها البيع والتجارة، والحال أن الله سبحانه عليم بما يعملون يؤاخذهم عليه، وكان يسير يوسف عليه السلام بهذا المسير، ليستقر في مستقر العزّة والملك والنبوة.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠)

أي السيارة الذين أخرجوه من الجب، باعوه بثمن ناقص قليل، والذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الأحرار وأخلاق أهل البر والنبل فلم يرغبوا فيه مخافة أن يلحقهم تبعة في استعباده.

يوسف عليه السلام في قصر عزيز مصر:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)

عرض يوسف عليه السلام للبيع في أسواق مصر، فاشتراه العزيز، وهو لقب لأكبر وزراء الملك وأمنائه، وقد توسم العزيز في يوسف عليه السلام الذكاء والنجابة، فأوصى به خيراً، وقال لامرأته: أحسني معاملته، وأكرمي إقامته عندنا، وعلل ذلك بأنه يرجو إذا بلغ يوسف عليه السلام أشده أن يقوم بتدبير شؤونهم، أو يتبنوه، لأن العزيز كان عقيماً، لا ولد له، وكما أنعمنا على يوسف عليه السلام بالسلامة والخروج من الجب مكّناه في الأرض التي كان يستولي عليها الملك وهي أرض مصر، وكذلك علّم تفسير الأحلام وتعبير الرؤيا، الذي كان يوسف عليه السلام قادراً على

أن يطلع على بعض أسرار المستقبل من خلاله، والله سبحانه أجلس يوسف عليه السلام على عرش الاقتدار بواسطة إخوته، الذين تصوروا أنهم سيقضون عليه في تركهم إيّاه في غيابة الجب، والله لا يغلبه شيء، حتى بلّغه ما قدّر له.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٢)

المعنى أن يوسف عليه السلام بعد أن استكمل الرشد منحه الله سبحانه العلم، ووفقه الى العمل به، وقيل المراد بالعلم هنا، النبوة وليس هذا ببعيد لأن يوسف عليه السلام من الأنبياء، ولقد أحسن بصبره وطاعته لله تعالى، فأحسن الله عز وجل إليه، لأنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

عشق امرأة العزيز:

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣)

أي طلبت زليخا من يوسف عليه السلام أن يواقعها، وأحكمت غلق الأبواب، وكانت سبعة أبواب، وقالت له اقبل وبادر الى ما هو مهيأ لك، فأظهر عليه السلام الإباء وسأل الله سبحانه أن يعيذه ويعصمه من فعل ما دعته إليه، إنه أي العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي فلا اخوته، وقيل المعنى: أن الله سبحانه ربي رفع من محلي وأحسن إليّ وجعلني نبياً فلا أعصيه أبداً ولو فعلت ما دعيت إليه لكنت ظالماً، وخرجت من تحت ولايته.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤)

ذكر وجوه لتفسير الآية، ولكن أنقل أحدها إستناداً الى ما نقل عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث سأله المأمون «**الخليفة العباسي**» قائلاً: ألا تقولون أن الأنبياء معصومون؟ فقال الامام: «**بلى**». فقال: فما تفسير هذه الآية ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ فقال عليه السلام: «**لقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت، لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه**» **فقال المأمون: لله درّك يا ابا الحسن.**

والله سبحانه مع المتقين الذين يلتجؤن إليه مخلصين، فيحرسهم ويصونهم ممن أراد بهم سوءاً، أو حاول أن يوقعهم في الضلالة والغواية، تماماً كما فعل بيوسف عليه السلام، التجأ الى ربه، وخاطبه مخلصاً (.. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العيم).

مكر امرأة العزيز المفضوح:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥)

أسرع يوسف عليه السلام الى الباب هرباً منها، فعدت وراءه لترده إليها، فجذبت قميصه وشقته طولاً من خلفه، وقد انفتحت الأبواب، فلما فر خرجا وجدا زوجها عند الباب، فقالت: لزوجها ليس جزاء من أراد بأهلك خيانة إلا أن يسجن أو أن يضرب بالسياط ضرباً وجيعاً.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٦)

لمـا اتهمته المـرأة بالخيانة لم يجد يوسف عليه السلام بـداً من تنزيه نفسه بالصـدق ولو كفّت عـن الكذب عليه لكفّ عليه السلام عن الصـدق عليها. فقال: هـي التي طالبتني بالسوء الـذي نسبتني إليه (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان صبياً وهو ابن أخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وقيل كان رجلاً وهو ابن عم زليخا وكان جالساً مع زوجها عند الباب، فقال: إن كان قميصه شق من قدّامه (فصدقت وهو من الكاذبين) لدلالته على أنه قصدها فدفعته.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧)

أي (وإن كان قميصـه) شـقّ من الخلف (فكذبـت) المرأة ويوسف عليه السلام (مـن الصادقيـن) لأنه الهـارب وهي الطالبة وهـذا أمر ظاهر واستدلال صحيح.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

فلمّـا رأى العزيـز قميص يوسف عليه السلام مشقوقاً مـن خلف، قال: إن الأمر من كيدكن معاشر النساء إن كيدكنّ عظيم.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩)

أي قـال العزيز ليوسف عليه السلام: أكتم أمرها ولا تخبر أحداً بما حدث حتـى لا يفشو في البلـد. وقال لها: استغفري الله مـن ذنبك وتوبي إليه فإن الذنب كان منك لا من يوسف عليه السلام. فإنهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام.

مؤامرة امرأة العزيز الأخرى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٠)

ولكن الخبر شاع وذاع في مصر، وبالخصوص على ألسنة النسوة ان امرأة العزيز افتتنت بغلامها، ودعته لنفسها، ولكنه عزف عنها وزهد فيها، وقد اجترحت بهذا خطيئة لا تغتفر.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ

إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ
رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا
بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ
مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧
وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي

ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

اللغة والبيان:

أعتدت: أعدّت وهيأت.

متكأ: ما يتكأ عليه من فرش ونحوه.

وقطعن أيديهنّ: جرحتها.

فاستعصم: طلب العصمة وامتنع عمّا أرادت منه.

علّمني: التعليم تفهيم الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى، وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب.

واتبعت: الاتباع اقتفاء الأثر وهو طلب اللحاق بالأول.

الدين القيّم: هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه.

بضع: من الأعداد، ويطلق على الثلاثة الى العشرة، ونصب على أنه ظرف زمان لاضافته الى سنين، والعامل فيه لبث.

سمان: جمع سمين وسمينة.

عـــــجـــــاف: ضدّ السمان، وهو جمع أعجف للذكر، وعجفاء للأنثى أي هزيل وهزيلة.

للرؤيـا تـعبـرون: عبرت الرؤيا فسرتها.

التفسيـر:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١)

لمـا سمعـت المـرأة بتعييرهـن إياهـا وقصدهـن إشاعـة أمرها، فاستضافتهـن وأعـدّت لهـن وسائد يتكيـن عليها، واعطـت كل واحدة مـن تلـك النسوة سكينـاً لتقطع به الفواكـه والاترج على مـا هو العادة بيـن الناس، وقالت امرأة الملك ليوسـف عليه السلام وكانت قد اجلسته غير مجلسهـن فأمرته بالخروج عليهن في هيأته اما للخدمة واما للسلام او ليرينـه ولم يكن يتهيأ له أن لا يخرج لأنه بمنزلة العبد لها (فلما رأينه) اعظمنه وتحيّرن في جماله إذ كان كالقمر ليلة البدر (وقطعن أيديهن) بتلـك السكاكين على جهـة الخطأ بدل قطـع الفواكه فمـا أحسسن إلا بالـدم ولم يجدن ألم القطع لاشتغال قلوبهن بيوسف عليه السلام وتنزه عليه السلام عمّـا رمتـه به امرأة العزيـز، ورفع الله منزلته عن منزلـة البشر وليس صورتـه صورة البشر ولا خلقتـه خلقة البشر ولكنه ملـك كريم لحسنه ولطافته.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٣٢)

قالت امرأة العزيز للنسوة: هذا هو الذي لمتنني في أمره وفي حبه وشغفي به وقد اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما أصابكن بينما أنا أنظر إليه آناء ليلي ونهاري، ثم اعترفت ببراءة يوسف عليه السلام وأقرت على نفسها بأنها هي التي راودته عن نفسه وامتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح، ثم توعدته بإيقاع المكروه به، وإن لم يجبني الى ما أدعوه إليه ليحبسن في السجن وليكون من الأذلاء.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

فلما رأى يوسف عليه السلام إصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية، وقال: يا رب إن السجن أحبّ إليّ وأسهل عليّ مما يدعونني إليه من الفاحشة، وفي هذا دلالة على أن النسوة دعونه الى مثل ما دعته إليه امرأة العزيز، وأسألك أن تصرف عني كيدهن فإنك إن لم تصرف عني كيدهن أمل إليهن وأكن بمنزلة الجاهلين.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٤)

استجاب الله سبحانه مسألته في صرف كيدهن إنّه هو السميع بأقوال عباده العليم بأحوالهم.

السجن بدون ذنب:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٣٥)

ثم ظهر للعزيز ومن يتلوه من امرأته وسائر مشاوريه، رأي جديد في يوسف عليه السلام ومن بعد ما رأوا هذه الآيات الدالة على براءته وعصمته، وهو أن يسجنوه حيناً من الزمان حتى ينسى حديث المراودة الذي يجلب لهم العار والشين، وأقسموا على ذلك.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦)

ودخل مع يوسف عليه السلام السجن فيمن دخل اثنان من حاشية الملك: ساقيه، وخازن طعامه لتهمة ألصقت بهما، قال الساقي: رأيت فيما يرى النائم أني أعصر خمراً – أي عنباً لأنه يؤول الى الخمر – وقال الخازن: أما أنا فرأيت على رأسي خبزاً يخطفه سرب من الطير، ويذهب به، خبرنا بتفسير ما رأيناه (إنا نراك من المحسنين) في سيرتك مع أهل السجن.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧)

ذكر فيها عدة تفاسير، ويتلخص أقربها الى ظاهر اللفظ بأن يوسف عليه السلام قال للسائلين: أنا وأنتما محجوبان في هذا المكان لا يعلم أحدنا ماذا يجري في خارجه، ومع هذا فأنا أعلم أي طعام يُرسل إليكما، ما هو نوعه، وما هي الغاية من إرساله قبل أن يرسل.

وتسأل: لقد سألاه عن تعبير ما رأيا فأجابهما بأنه يخبر عن الغيب فيما يأتيهما من طعام، هذا لا يمت الى السؤال بصلة.

أجل ليس هذا تعبيراً للرؤيا، ولكنه تمهيد له، فلقد أراد يوسف عليه السلام أن يغتنم هذه الفرصة ليثبت لأهل السجن أنه نبي مرسل من عند الله، واستدل على نبوته بالاخبار عن الغيب، وأنه تعالى علّمه ذلك، وأنه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون وإني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصّني الله بهذه الكرامة.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨)

اتبعت شريعة آبائي، ولا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة وأهل بيت الرسالة أن ندين بغير التوحيد والبراءة من الشرك، وقد خصّنا بها من دون الناس بإرسالنا إليهم واتباعهم إيانا واهتدائهم بنا (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى بل يكفرون به.

السجن أصبح مركزاً للتربية والتعليم:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩)

هذا حكاية نداء يوسف عليه السلام للمستفتين له عن تأويل رؤياهما، أي يا ملازمي السجن أأملاك متباينون من حجر وخشب لا تضرّ ولا تنفع خير لمن عبدها ؟ أم الله الواحد القهار الذي إليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزام الحجة، والقاهر هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠)

المعنى أن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتموها بأسماء يعني الأرباب والألهة هي أسماء فارغة عن المعاني لا حقيقة لها ما أنزل الله من حجة بعبادتها، وقد أمركم أن لا تعبدوا غيره، ذلك الذي بيّنت لكم من توحيده وعبادته هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه.

(ولكن أكثر الناس) لا يعلمون صحة ما أقوله لعدولهم عن النظر والاستدلال.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٤١)

بعد أن أدى يوسف عليه السلام واجب الدعوة الى الله تعالى عبّر لكل من الساقي وخازن الطعام ما رآه في منامه، فقال للساقي: تنجو من السجن، وتعود الى سابق عهدك ساقياً للملك، وقال للخازن أو للخباز: تصلب وتأكل الطير من رأسك، وقد كان يوسف عليه السلام على ثقة من تعبيره لأنه وحي من الله سبحانه، ولذا قال لهما: إن هذا الأمر قد بتّ فيه، وانتهى حكمه.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٤٢)

وقال يوسف عليه السلام للساقي الناجي: إذا رجعت الى قصر الملك فقل

لـه: إني سجنـت من غير محاكمـة أو سؤال، وإذا فحص عن الحقيقة ظهـر أني أخذت بغير سبب. وعاد الساقي الى القصر، ونسي في زحمة أعماله في خدمة الملـك أن يذكر يوسف عليه السلام، فلبث في السجن بضع سنين.. وفي رواية أنها سبع، وقيل بل اثني عشرة سنة، والله عالم.

رؤيا ملك مصر وما جرى له:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣)

رأى الملـك رؤيـا عجيبـة غريبـة هالتـه وحيرته، رأى سبـع بقرات هزيـلات تأكل سبع بقرات سمان! ما هذا؟ بقر يأكل بقراً؟ وفوق ذلك الضعيف الهزيل يأكل القوي السمين؟ وأيضاً سنابل يابسات تلتوي على سنابـل خضر في حقل واحـد! وهذا مدهش ومحير. فدعا الملك رجال حاشيتـه وكهنة دولته، وقص عليهـم ما رأى، وسألهم عـن التأويل فلم يعرفوا واعتذروا بأن رؤياه لا تفسير لها.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

اللغة والبيان:

أضغاث: جمع ضغث، وهو الحزمة من كل شيء، وقيل: من النبات فقط يختلط فيها الرطب باليابس.

وادّكر: واذكر بمعنى واحد، قال الطبرسي في مجمع البيان: الأجود الدال وأصله اذتكار.

بعد أمة: أي بعد حين.

دأباً: الدأب العادة والمراد به هنا الدوام على الزرع.

تحصنون: أي تحرزون، يقال: أحصنه إحصاناً إذا جعله في حرز.

يغاث الناس: أي يفرج الله عنهم، ويطلق الغيث على المطر، وعلى ما ينبت بسببه.

يعصرون: اي يستخرجون العصير مما يُعصر كالعنب والزيتون، وهو كناية عن الخصب.

ما بال النسوة: أي ما شأنهن، ومثله ما خطبكن مع الإشعار بأنه شأن عظيم وجدير بأن يخاطب الانسان فيه صاحبه.

حصحص: أي تبين وظهر.

استخلصه: أجعله خالصاً لنفسي.

مكين: من التمكين أي أنت عندنا ذو مكانة ومنزلة.

يتبوأ منها: يتخذ منها منزلاً.

منكرون: أي لم يعرفوه.

بجهازهم: يختلف معنى الجهاز باختلاف مورده من جهاز العروس الى جهاز الميت، والمراد هنا الطعام الذي جاؤوا من اجله.

خير المنزلين: أي للضيوف.
وقال لفتيانه: أي لخدمه.
رحالهم: جمع رحل، وهو ما يوضع على ظهر الدابة كالسرج، والمراد به هنا أوعيتهم التي توضع فوق السرج ونحوه.
انقلبوا: رجعوا.

التفسير:

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ (٤٤)

أي هذه اباطيل وتخاليط كاذبة لا يصح تأويلها (وما نحن بتأويل) هذا النوع من المنامات بعالمين.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥)

كان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك بسبب نجاة يوسف عليه السلام لأن الساقي تذكر حديث يوسف عليه السلام فجثا بين يديه وقال: يا أيها الملك إني قصصت أنا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبر بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فإن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٦)

أمر الملك ساقيه أن ينطلق الى الرجل الصالح الذي حدثه عنه، وأن يقص عليه رؤياه، ثم يأتيه بما يسمع منه، فانطلق الساقي الى

يوسف عليه السلام ، بطبيعة الحال اعتذر له عن نسيانه، بعد أن لقّبه بما هو أهل له من الصدق، ثم نقل له رؤيا الملك بالحرف ليأتي التفسير على وفق النص، وقال أخبرني عن التأويل لأنقله عنك الى الملك وحاشيته، فيعلمون بفضلك ومكانتك، فيخرجونك من السجن.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (٤٧)

قال يوسف عليه السلام للسائل مفسراً رؤيا الملك: تزرعون سبع سنين متوالية، وتكون هذه السنين خصبة طيبة، وهي المشار إليها بالبقرات السمان والسنابل الخضر، كل سنبلة وبقرة ترمز الى سنة، ثم نصح لهم يوسف عليه السلام ، وقال: كل ما تحصدونه من الزرع ادخروا سنابله، ولا تدوسوه لأن القمح في سنابله يصان من السوس والرطوبة: أما الذي تريدون أكله فدوسوه، مع مراعاة الاقتصاد والاكتفاء بما يسد الحاجة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ (٤٨)

المعنى أن السنين الخصبة تعقبها سبع سنين مجدبة، يتجهم فيها وجه الأرض، ولا تنبت شيئاً، فتأكلون كل ما ادخرتموه فيما مضى، ولا يبقى إلا القليل للبذر.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (٤٩)

أي يأتي بعد السبع الشداد عام خصب يغث الله فيه الناس من الشدة بالماء، فينبت الزرع، وينمو الشجر، ويعصر الناس من ثمره خمراً وزيتاً وأنواع الدهون والأشربة..

تبرئة يوسف عليه السلام من كل اتهام:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠)

ولكن يوسف عليه السلام البريء الصديق رفض طلب الملك، وأبى أن يخرج من السجن في ظلال الشك من حوله حتى عند الملك، وأصر على إعلان براءته قبل كل شيء، ولذا قال لرسول الملك: ارجع إليه، وقل له: فليحقق مع النسوة، ويسألهن عن شأني وشأنهن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١)

لما رجع الرسول الى الملك وأخبره بما قاله يوسف عليه السلام، أرسل الى النسوة ودعاهن وقال لهنّ: ما شأنكن وما أمركن إذ راودتن يوسف عليه السلام عن نفسه ودعوتنّه الى انفسكن، قلن: معاذ الله ما علمنا عليه من سوءوخيانة وما فعل شيئاً مما نسب إليه واعترفن ببراءته، بأنه حبس مظلوماً، فعند ذاك تكلمت امرأة العزيز واعترفت بذنبها وصدّقت يوسف عليه السلام فيما كان يدعيه من البراءة قالت: الآن ظهر وتبين ووضح الحق وهو أنه: أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصّادقين.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٢)

المعنى إني طلبت التحقيق مع النسوة ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته حال غيابه (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) بل يفضحهم ويهتك سترهم، وينصر المؤمنين عليهم، تماماً كما فضح النسوة، ونصر يوسف عليه السلام.

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٣)

معناه أن النفس، أية نفس لا تسلم من العيوب إلا نفساً عصمها الله تعالى من الخطايا والذنوب كنفوس الأنبياء والأئمة الاطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).. والمهم أن لا يصر المذنب على ذنبه ويعرض أبداً عن ربّه. قال الامام علي عليه السلام: أشد الذنوب ما استهان به صاحبه أي أصرّ عليه، ولم يستغفر الله منه.

يوسف عليه السلام يصبح أمينا على خزائن مصر:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (٥٤)

معناه ان الملك لما تبيّن له أمانة يوسف عليه السلام وبراءته من السوء وعلمه أمر بإحضاره فقال ائتوني به أجعله خالصاً لنفسي أرجع إليه في تدبير مملكتي وأعمل على إشارته في مهمات أموري، فلما جاء الرسول يوسف عليه السلام ودعاه خرج من السجن ودخل على الملك وكلّمه وعرف فضله وأمانته وعقله، قال: إنك عندنا ذو مكانة متمكن في المنزلة والقدر نافذ القول والأمر.

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٥)

قال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن أرضك حافظاً ووالياً واجعل تدبيرها إليّ فإني حافظ لما استودعتني لحفظه عن أن تجري فيه خيانة (عليم) بمن يستحق منها شيئاً ومن لا يستحق فأضعها مواضعها.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

صبر يوسف عليه السلام على إلقائه في البئر، وعلى بيعه في سوق العبيد، وخدمته في بيت العزيز، وعلى التهمة بالخيانة، والسجن والأسر، صبر على أكثر من ذلك، صبر واحتسب وتوكل على الله.. فماذا كانت النتيجة ؟ لقد خرج من السجن خروج الأبطال من معارك النصر.. خرج ليحكم في الأرض مطلق اليد مسموع الكلمة، نافذ السلطان.. وهكذا يوفى الصابرون أجرهم في الدنيا.

في بعض الروايات ان امرأة العزيز أتت يوسف عليه السلام في السنين العجاف تطلب منه قوتاً، وقد مات زوجها ورماها الدهر بالخطوب، ونال منها ما نال، وأن يوسف عليه السلام لما رآها قال لها: ما الذي أوصلك الى ما أرى ؟ فقالت له: سبحان من جعل الملوك بمعصيته عبيداً، وجعل العبيد بطاعته ملوكاً.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

أي ثواب الآخرة الجنة التي «**لا ينقطع نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولا يهرم خالدها، ولا ييأس سالكها**» كما قال الامام علي عليه السلام – فهذا الجزاء الأوفى للمتقين.

اقتراح جديد من يوسف عليه السلام لإخوته:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (٥٨)

امتد القحط الى البلاد المجاورة لمصر، ومنها فلسطين أرض

كنعـان، حيث يقيم نبي الله يعقوب عليه السلام، وكان قد شاع ان عزيز مصر قـد أعد للجـوع عدته، وأنه يـوزع الحنطة بالقسط بيـن الناس، لا فرق عنده بيـن شعب وشعب، وكان قد نزل ببيـت يعقوب عليه السلام من العوز ما نزل بغيره، فأمر بنيه أن يتجهزوا، ويذهبوا الى مصر يشترون الطعام، فذهبوا وهم عشرة، ولما وصلوا الى مصر دخلوا على يوسف عليه السلام وهو في مجلس الولاية، فعرفهم وما عرفوه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (٥٩)

وبعـد ان أعـد لهم كل ما جـاءوا من أجلـه، وما يحتاجـون إليه في سفرهم، قال لهـم يوسف عليه السلام ائتوني بأخيكم الأصغر، فإذا جئتموني به أوفي الكيل له ايضاً، وأكرمه كما أكرمتكم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠)

حاول يوسـف عليه السلام بشتى الطرق، تارة بالتهديد، وأخرى بالتحبب، أن يلتقي بأخيه بنيامين ويبقيه عنده.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ (٦١)

أي سنجتهد ونتلطف لإقناع أبيه رغم صعوبة المطلب ومناله.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦٢)

أمـر يوسف عليه السلام خدمـه أن يدسوا بضاعة إخوتـه التي اشتروا بها الطعام، يدسوها في أمتعتهم من حيث لا يشعرون، لعلهم يرجعون إلينا

ويأتوا بأخيهم، فإنهم إذا فتحوا رحالهم ووجدوا فيها بضاعتهم، بعثهم ذلك الى الرجوع طمعاً في جوده وكرمه..

إقناع يعقوب عليه السلام بسفر بنيامين معهم الى مصر:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٦٣)

قيل إنهم لما دخلوا على يعقوب عليه السلام وسلّموا عليه سلاماً ضعيفاً قال لهم: يا بني ما لكم تسلمون سلاماً ضعيفاً وما لي لا أسمع فيكم صوت شمعون فقالوا: يا أبانا إنا جئناك من عند أعظم الناس ملكاً ولم ير الناس مثله حكماً وعلماً وخشوعاً وسكينة ووقاراً ولئن كان لك شبيه فإنه يشبهك ولكنا أهل بيت خلقنا للبلاء إنه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك إليه ليخبره عن حزنك وما الذي أحزنك وعن سرعة الشيب إليك وذهاب بصرك، وقد منع منا فيما يستقبل الكيل إن لم نأته بأخينا فأرسله معنا ونحن نحفظه من أن يصيبه مكروه أو سوء.

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ

أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ قَالَ لَنۡ
أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ
٦٦ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ
مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا
لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا
دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
٦٨ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ
إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ
عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ

لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

اللغة والبيان:

متاعهم: المراد بالمتاع هنا وعاء الطعام.

ونمير: أي نجلب الميرة بكسر الميم، وهي الطعام.

كيل بعير: أي حمله.

مـــوثـــقـــاً: أي عهداً.

أن يـحـاط بـكـم: أي أن تغلبوا على أمركم.

آوى إلـيـه أخـاه: ضمه إليه.

فـلا تـبـتـئـس: أي لا تحزن مأخوذ من البؤس.

الـسِّـقـايـة: الإناء التي يسقى منها والمراد بها هنا الصواع بدليل قوله: نقصد صواع الملك.

الـعـيـر: الإبل.

صـواع: والصاع بمعنى واحد، وهو المكيال.

زعـيـم: كفيل.

التفسير:

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤)

أي لا آمنكم على بنيامين في الذهاب به إلاّ كأمني على يوسف عليه السلام ضمنتم لي حفظه ثم ضيعتموه وغيبتموه عني، فحفظ الله سبحانه خير من حفظكم، يرحم ضعفي وكبر سني ويردَه عليّ، وورد في الخبر أن الله سبحانه قال: فبعزتي لأردّنّهما إليك من بعدما توكلت عليّ.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤)

لمّا اكتشفوا أن بضاعتهم ردّت إليهم، أسرعوا الى أبيهم وقالوا له: ماذا نطلب من عزيز مصر؟ وبأي شيء نعتذر له إذا لم نأتِه بأخينا، وقد أكرمنا بما ترى من رد الثمن؟ والأهل والأقارب بحاجة ماسّة الى

الطعام، فإذا صحبنا أخانا ازددنا حملاً من الطعام، وهو أمر ميسّر مع وجوده. أما بدونه فلا؛ لأن العزيز لا يبيع للرجل إلا حملاً واحداً في هذه الأزمة المجدبة..

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٦٦)

أذن لهم بأخيهم بنيامين على أن يعطوه عهداً أكيداً أن يرجعوه إليه سليماً معافى إلا أن ينزل بهم ما لم يكن في الحسبان، فأعطوه العهد الذي أراد، وأكدوا الأيمان بأنهم يفدونه بالأرواح، وعندها قال: الله وحده هو الشاهد على عهدكم هذا، فإن وفيتم جازاكم أحسن الجزاء، وإن غدرتم كافأكم بأشد العقوبات.

وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦٧)

لمّا تجهّزوا للمسير، قال يعقوب عليه السلام لأبنائه: لا تدخلوا مصر (من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) لأنه عليه السلام خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكمال وهم إخوة أولاد رجل واحد، وقال عليه السلام أيضاً: وما ادفع من قضاء الله من شيء إن كان قد قضى عليكم الاصابة بالعين أو غير ذلك (إن الحكم إلا لله عليه توكلت) فهو القادر على أن يحفظكم من العين أو من الحسد ويردكم عليّ سالمين (وعليه فليتوكل المتوكلون) أي ليفوّضوا أمورهم إليه وليتقوا به.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)

المعنى أن أولاد يعقوب عليه السلام دخلوا المدينة من أبواب متفرقة امتثالاً لأمر والدهم، ولكن دخولهم لم يجد نفعاً، ولم يرد بلاءً، ولكن كان ما قاله لبنيه حاجة في قلبه، فقضى يعقوب عليه السلام تلك الحاجة وأزال به إضطراب قلبه، وأنه عليه السلام ذو يقين ومعرفة بالله تعالى وعلّمه تعالى من لدنه علماً أدّبه به من الصبر الجميل على البلاء، والتوكل عليه سبحانه في السراء والضراء، وعدم اليأس من رحمته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مرتبة يعقوب عليه السلام.

يوسف عليه السلام يخطط للاحتفاظ بأخيه:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٩)

ذكر أهل التفاسير بأن إخوة يوسف عليه السلام لما وصلوا الى مصر دعاهم الى طعامه، وأجلسهم مثنى مثنى لغاية أرادها، وهي أن يبقى أخوه بنيامين وحيداً ليجلسه معه على مائدته، وبعد الطعام أنزل يوسف عليه السلام كل اثنين من اخوته في حجرة، وبات أخوه بنيامين معه في حجرته، وعندما اختلى به قال له: أتحب أن أكون أخاك ؟ فأحابه: ومن يجد أخاً مثلك ؟ ولكن لم يلدك يعقوب عليه السلام ، ولا رحيل وهي أم يوسف عليه السلام وبنيامين، فعانقه وقال: أجل، لقد ولدني يعقوب عليه السلام وراحيل،

فأنـا أخوك، ولا تحزن بما كان مـن إخوتك معي ومعك.. ففرح بنيامين للمفاجأة السارة وحمد الله سبحانه.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (٧٠)

أراد يوسف عليه السلام أن يفصـل بنيامين عن إخوته، ويبقيه عنده، ولم يكـن ذلك ممكناً إلا بمبـرر، وكان من شريعة آل يعقوب عليه السلام استرقاق السـارق، فدس غلمان يوسـف عليه السلام بأمر منه المكيال فـي رحل أخيه بنيامين، ثـم نادى المنادي فـي أولاد يعقوب عليه السلام: يـا أصحاب العير انكـم سارقون، فلا ترحلوا حتى ننظر فـي أمركم، فدهش أولاد يعقوب عليه السلام لهذه المفاجأة العنيفة.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (٧١)

قالوا هذا وهم على يقين من براءتهم.. وهذه هي المرة الأولى التي يسمعون فيها مثل هذه التهمة.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (٧٢)

قـال يوسـف عليه السلام وغلمانه: (نفقـد صاع الملـك وسقايتـه، وقال المنـادي من جاء بالصاع فله حمل بعيـر من الطعام وأنا كفيل وضامن له ذلك.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣)

ناقشـوا أو أقامـوا الدليل علـى براءتهـم، وقالوا فيمـا قالوا: كيف تتهموننـا بالسرقة، وقد علمتم مـن نسبنا وسيرتنا فـي السفرة الأولى

والثانيــة أنّــا لم نــأتِ الى هــذا البلد للخيانــة والفساد، وإنمــا لنشتري الطعام لأهلنا.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤)

الخطــاب لأولاد يعقوب عليه السلام من يوســف عليه السلام وغلمانه، والقصد من هذا السؤال أن يعترفوا صراحة بهذا الحكم.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥)

هــذا اعتراف صريح من أولاد يعقوب عليه السلام بأن السارق يؤخذ عبداً أو أسيراً، وعليه يسوغ ليوسف عليه السلام أن يأخذ أخاه ويضمه إليه، ولا يحق لهم أن يمانعوا أو يعترضوا.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦)

المعنى لولا هذا التدبير لتعذر على يوسف عليه السلام أن يضم أخاه إليه، ذلــك بأن مــن شرع ملك مصــر وقضائــه أن لا يعاقب الســارق بالأسر أو الاسترقــاق، بــل بعقوبــة أخــرى كالسجن أو الضــرب ويوسف عليه السلام لا يريــد المكروه لأخيــه، فاتخذ يوسف عليه السلام هذا التدبيــر الذي أوحاه اللّه سبحانــه إليــه ليلزم اخوته بما ألزموا بــه أنفسهم، فبالعلم والنبوة والتقوى يرفع اللّه من يشاء وأن كل عالم فإن فوقه عالماً أعلم منه حتى ينتهــي الى البارىء عــزّ وجلّ العالم بجميع معلوماتــه لذاته فيقف عليه ولا يتعداه.

السقوط بسبب عدم الثقة بأخيهم:

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧)

أخبر سبحانه عن أخوة يوسف عليه السلام أنهم قالوا ليوسف عليه السلام: (إن يسرق) بنيامين (فقد سرق أخ له) من أمه (من قبل) فليست سرقته بأمر بعيد فإنه اقتدى بأخيه يوسف عليه السلام، وهناك أقوال فيما سرق منها: أن عمة يوسف عليه السلام كانت تحضنه بعد وفاة أمه وتحبه حباً شديداً فلما ترعرع أراد يعقوب أن يسترده منها وكانت أكبر ولد اسحاق عليه السلام وكانت عندها منطقة إسحاق عليه السلام وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف عليه السلام وادّعت أنه سرقها وكان من سنتهم استرقاق السارق - كما ذكر سابقاً – فحبسته بذلك السبب عندها.

فأخفى يوسف عليه السلام تلك الكلمة التي قالوها ولم يظهرها (قال أنتم شرّ مكاناً) في السرقة لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم، والله أعلم أسرق أخ له أم لا.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨)

بعد أن أصبحوا تجاه الأمر الواقع، وأن العدل عندهم يقضي باسترقاق أخيهم بنيامين التجأوا الى التماس الرحمة والعفو والصفح، أو أخذ الفداء والبدل، وأن يختار العزيز واحداً منهم، وهم عشرة بين يديه، طلبوا هذا وألحوا في الطلب، وتشفعوا إليه ببره وصلاحه،

وبشيخوخة أبيهم، وعظيم منزلته وقدرته، وبضعفه وشغفه بولده بنياميـن، فعلوا هـذا وأكثر منه لا حبـاً بأخيهم، بل تخلصـاً من أبيهم ومسؤولية العهد الذي أخذه عليهم.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا

أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي
وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ

ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

اللغة والبيان:

استيأسوا: ويئسوا بمعنى واحد.

خلصوا: انفردوا عن الناس.

نجياً: أي متناجين متشاورين.

موثقاً: أي عهداً.

فرّطتم: قصّرتم.

فلن أبرح: لن أفارق.

سوّلت لكم أنفسكم: أي زينت.

وابيضت عيناه: كناية عن كثرة البكاء. وقيل: أصاب عينيه غشاوة بيضاء غطت على البصر.

كظيم: الكظم تجرع الغيظ وامساكه في القلب.

حرضاً: الحرض المشرف على الهلاك، وهو لا يجمع ولا يثنى لأنه مصدر.

بثي: بث الخير أظهره وأذاعه، والمراد بالبث هنا الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثّه.

فتحسسوا: التحسس طلب الشيء بالحواس كالسمع والبصر.

الضـــرّ: المراد به هنا المجاعة.

ببضاعة مزجاة: رديئة أو قليلة، ويقال: أزجى الشيء إذا دفعه برفق، ومنه قوله تعالى: «**ألم ترَ أنّ الله يزجي سحاباً**».

آثـــرك: اختارك وفضلك.

تثـــريب: التعنيف والعقوبة، يقال: ثرّب فلان على فلان اذا عدد ذنوبه عليه.

فصلت العير: تجاوزت المكان الذي كانت فيه.

تفنـــدون: الفند ضعف الرأي والمراد تسفّهون رأيي وتقولون قد خرف من الكبر.

لفي ضلالك: أي خطئك.

التفسير:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ (٧٩)

أي أعوذ باللّه تعالى أن آخذ البريء بجرم السقيم، بل نأخذ من وجدنا متاعنا عنده، ولو عكسنا ذلك لكنا ظالمين. واللّه يتعالى ويجل عن ذلك علواً كبيراً.

رجوع الأخوة الى أبيهم خائبين:

﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٠)

بعد اليأس من تنازل العزيز عن بنيامين، انفرد أولا يعقوب عليه السلام عن الناس وتناجوا فيما بينهم: ماذا يصنعون ؟ وأي شيء يقولون لأبيهم (قال كبيرهم) وهو روبين أو لاوي ابن خالة يوسف عليه السلام الذي نهى اخوته عن قتله، قد استحلفكم أبوكم أن تردوا عليه بنيامين، فماذا تقولون له بعد أن جمعتموه بيوسف عليه السلام من قبل، فهو لا يصدقكم، وإن نطقتم بالصدق.

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١)

هذا قول كبيرهم، فهو يوصي اخوته أن لا يقولوا لأبيهم إلا الحق، وذلك بأن يخبروه بأنهم رأوا غلمان العزيز يستخرجون مكيال الملك من وعاء بنيامين وأنّ العزيز أصرّ على أخذه.. هذا ما شاهدناه، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك، ولو علمنا الغيب ما سألناك أن تسمح لنا به، ولا أعطيناك العهد وبأن نرجعه اليك، وقد بذلنا المجهود، واعذرنا الى الله واليك.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٨٢)

أي اسأل أهل مصر، فقد اشتهر فيهم أمر هذه السرقة، واسأل أيضاً القافلة التي جئنا معها من مصر، فقد رأت ما راينا، وهي الى جوارك في أرض كنعان لتدرك صدقنا فيما أخبرناك به.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣)

الصبر الجميل:

لما رجعوا الى أبيهم وأخبروه بما حدث قال: كلا بل زيّنت لكم أنفسكم الكيد لولـدي، كما فعلتم من قبل بأخيه يوسف عليه السلام وهل من وسيلة في هـذا الموقف وأمثالـه الا الصبر على مضض الألم ؟ قال هذا حين غاب عنه بنيامين، ومن قبل قال حين غاب يوسف عليه السلام (والله المستعان على مـا تصفون) هذا هو شعار الصالحين، يحزنون وهم في جميع الحالات على الله متوكلون كما قال سيد الأنبياء وخاتم الرسل محمد ﷺ: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول الاّ ما يرضي ربنا**» (عسى الله أن يأتيني بهـم جميعاً) وهم يوسف عليه السلام وبنيامين، والأخ الثالث الذي بقي بجوار أخيـه في مصر.. وفي كلمة عسى شعاع الأمـل، وبالخصوص، إذا كانت ممن يؤمن بالغيـب ايمانه بالواقع الملموس كالأنبياء والصديقين، والله سبحانه يعلم حزني وألمي، ويدبر الأمور على حكمته.

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَـفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٨٤)

اعتـزل الناس ليندب فراق ولده بنيامين حزناً على حزن وبكاء على بكاء حتـى ابيضت عيناه من الحزن وأصيبتـا بالقرحة من آثار البكاء، فهـو يتنفس منهما بالدموع، كما يتنفس مـن رئتيه بالآهات والحسرات ويتجرع الغيظ ويتجلد، ولكن على حساب جسمه وأعصابه.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (٨٥)

المعنـى أن أولاد يعقـوب قالوا له: لا تزال تلهـج بذكر يوسف عليه السلام حتى تمرض أو تموت بلا جدوى لأن يوسف عليه السلام ذهب ولن يعد.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

إنـي لست اشكو بثي وحزني إليكـم معاشر ولدي وأهلي، وإنما أشكو ذلـك الى الله سبحانه وأعلم من الله تعالى مـا لا تعلمون، فلست أيأس من روحه ولا أقنط من رحمته.

اسعوا وحاولوا ولا تيأسوا فإن اليأس علامة الكفر:

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)

أي استخبـروا من شأنهما واطلبـوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر مـا اسمه وعلى أيّ دين هو فإنه ألقي فـي روعي ان الذي حبس بنيامين هـو يوسف عليه السلام وإنما طلبـه منكم وجعل الصاع فـي رحله احتيالا في حبس أخيه عنـد نفسه، ولا تقنطوا من رحمة الله سبحانه، إنه لا يقنط مـن رحمتـه إلا الذين يؤمنون بـأن الله تعالى يقـدر أن يكشف كل غمه وينفس عن كل حزنه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨)

أوصـى يعقوب عليه السلام بنيه أن يعودوا الـى مصر، فقبلوا منه، وعادوا إليهـا مرة ثالثـة – ودخلوا علـى العزيز منكسريـن مسترحمين وبدأوا بالشكوى من الجهد والمجاعة.. مسنا وأهلنا الضر.. تصدق علينا.. ان الله يحب المتصدقيـن.. وإذا جئناك ببضاعة لا تليق فلأن الدهر غير مؤات.. وجاءت النتيجة فوق ما يتصورون.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩)

بعد أن استمع يوسف لاستعطاف اخوته وتضرعهم، وعرف بؤس أهله وحاجتهم رقّ وتغلبت عليه عاطفة الرحم وقرابة الدم، وقال لهم معاتباً أو واعظاً: أتذكرون يوماً استجبتم فيه لدعوة الشيطان، فألقيتم بأخيكم يوسف في غيابة الجب، وأذقتم أخاه بنيامين من بعده صنوف الأذى؟ ألم تقولوا بالأمس القريب: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل؟ وهل يفعل الجاهل أكثر من فعلكم هذا؟

﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠)

حين قال يوسف عليه السلام لإخوته ما قال تذكروا ما كانوا يعرفونه من ملامح وجهه، ونبرات صوته، واشارات يده.. ومهما يكن فقد إلتمع في خاطرهم أو خاطر بعضهم أنه يوسف (قالوا أئنك لأنت يوسف) قالوا هذا وانتظروا الجواب، فكانت المفاجأة التي لا تخطر على بال (قال أنا يوسف وهذا أخي) المظلوم كظلمي (قد منّ الله علينا) بالاجتماع وبخير الدنيا والآخرة.

ومن يتق الله سبحانه ويصبر على المصائب (فإن الله لا يضيع أجر) من كان هذا حاله.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٩١)

اعترفوا بأن الله فضله عليهم علماً وعقلاً، وكمالاً وجمالاً، وأخيراً بالجاه والسلطان.. وأقروا بالذنب، وطلبوا العفو والصفح، ويوسف عليه السلام كريم وابن كريم.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢)

عفى يوسف عليه السلام عما مضى بلا تعنيف وتأنيب، ودعا الله تعالى أن يغفر لهم ما فرط منهم، ولمن تاب وأناب.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣)

قيل أنه عليه السلام لمّا عرّفهم نفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدى قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه على وجهه يعد بصيراً كما كان من قبل (وأتوني بأهلكم أجمعين) إذا عاد بصيراً وهذا كان معجزاً منه. وقيل أن يوسف عليه السلام قال إنما يذهب بقميصي من ذهب به أولاً فقال يهوذا أنا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته أنه أكله الذئب قال فاذهب بهذا أيضاً وأخبره أنه حيّ وأفرحه كما حزنته فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى أتاه وكان معه سبعة أرغفة وكانت مسافة بينهما ثمانين فرسخاً فلم يستوف الأرغفة في الطريق.

وأخيراً شملتهم رعاية الله سبحانه ولطفه:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤)

لمّا خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو أرض كنعان قال يعقوب عليه السلام لأولاد أولاده الذين كانوا عنده: إني أشم رائحة قميص يوسف عليه السلام وأقطع بها لو لا أن تقولوا أنه شيخ قد هرم.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٩٥)

المعنى أن الذين حضروا مجلس يعقوب عليه السلام قالوا له: أنت مخطىء في إصرارك وانتظارك يوسف عليه السلام الذي ذهب كما ذهب غيره من الأموات.

اللغة والبيان:

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى

مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ
نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا
وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ
إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ
وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ
نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ

﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

آوى إليه أبويه: ضمهما إليه.

العرش: السرير الذي يجلس عليه الملك أو الرئيس.

تأويل رؤياى: تفسيرها بما تؤول إليه.

نزغ الشيطان: أفسد.

فاطر السماوات والأرض: خالقهما على غير مثال سابق.

غاشية: الغشاء الغطاء، والمراد بالغاشية هنا العقوبة الشاملة.

الساعة: القيامة.

بغتة: فجأة.

سبيلي: السبيل الطريق، والاسلام طريق الى الخير دنيا وآخرة.

بصيرة: المراد بها هنا الحجة الواضحة.

استيأس: بمعنى يئس.

وظنوا: هنا بمعنى تيقنوا.

باسنا: عقابنا.

عـــــــبـــــــرة: كل حادثـة تعبّـر لـك عمـا تهتـدي به وتتعظ.

الألـــــبـــــاب: جمـع لب، وهـو عقل الانسـان، وسمي العقل لباً لأنه أفضل ما في الانسان.

التفسيـر:

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)

مـا أخطأ يعقوب عليه السلام في حدسـه، فلقد جاء البشير يحمل قميص يوسـف عليه السلام، ومـا أن مس وجه يعقـوب عليه السلام حتى عـادت إليه نعمة البصـر، وسعـادة الحياة، قال عليه السلام: (ألم أقل لكـم إني أعلم) أن الله يصـدق رؤيا يوسف عليه السلام ويكشف الشدائد عـن أنبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧)

ندم أخـوة يوسف عليه السلام على فعلتهم، وتابوا مـن خطيئتهم، وسألوا اباهـم أن يدعو الـى الله تعالى أن يقبل منهم التوبة، ويغفر لهم الذنب، وشرطوا على أنفسهم ان لا يعودوا الى معصية.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٩٨)

إنمـا لم يستغفر لهم في الحـال لأنه أخرهم الى سحر ليلة الجمعة، وروي ذلـك عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل أخرهم الـى وقت السحر لأنه أقرب الى إجابة الدعاء.

عاقبة أمر يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٩٩)

فلما خرج يعقوب عليه السلام وأهله من أرضهم وأتوا مصر دخلوا على يوسف عليه السلام فضمهما إليه وأنزلهما عنده يعني بأبويه أباه وخالته فسمى الخالة أماً لأن أمه راحيل توفيت بعد ولادة بنيامين – وقال لهم قبل دخولهم مصر: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجوازهم.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠)

أجلس أبويه على سرير ملكه إعظاماً لهما، وانحطوا على وجوههم وكانت تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء.. وقيل: ان ضمير له عائد الى الله سبحانه، وأن السجود كان شكراً له تعالى على هذه النعمة الكبرى..

(وقال) يوسف عليه السلام (يا أبت) هذا تفسير رؤياي وتصديق رؤياي التي رأيتها، قد جعلها ربي صدقاً في اليقظة، وقد أحسن ربي إليّ حيث أخرجني من السجن وأنعم عليّ به، وجاء بكم من البادية من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي (إن ربي لطيف لما يشاء) في تدبير عباده يدبّر أمرهم على ما يشاء، ويسهّل لهم العسير وبلطفه حصلت

هـذه النعم علينا، فهـو سبحانه عليم بجميـع الأشياء، وتجـري أفعاله وأحكامه على وفق الحكمة.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١)

بعـد أن حـدث يوسف عليه السلام بنعم الله عليه توجه إليـه تعالى شاكراً مـا بسط له من الملـك، وما خصه به من النبوة، متوكلاً عليه في جميع شؤونه، ومتوسلاً إليه أن يميته على طاعته ومرضاته، وأن يلحقه بصالح من مضى من آبائه، ويجعله من صالح من بقي من أبنائهم.

هذه القصة آية من الآيات التي تدل على صدق ما جاء به ﷺ:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠٢)

بعـد تمام القصة عاد الى خطـاب النبي ﷺ فقال: الذي قصصت عليـك من قصـة يوسف عليه السلام يـا محمد، هو مـن جملة إخبـار الغيب (نوحيـه إليـك) على ألسنة الملائكة لتخبر بـه قومك ويكون دلالة على إثبـات نبوتـك ومعجزة دالة علـى صدقك، وما كنت عنـد أولاد يعقوب عليه السلام إذ عزمـوا علـى إلقائه في البئـر واجتمعت آراؤهـم عليه، وهم يحتالون في أمر يوسف عليه السلام حتى ألقوه في الجب.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣)

أي وليـس أكثـر النـاس بمصدّقيـن ولـو حرصـت علـى إيمانهـم وتصديقهـم واجتهدت في دعائهم وإرشادهم إليه لأن حرص الداعي لا

يغني شيئاً إذا كان المدعو لا يجيب.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)

أي ولا تسألهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة أجراً فيصدهم ذلك عن القبول ويمنعهم من الايمان ويثقل عليهم ما يلزمهم من الغرامة فأعذارهم منقطعة، وما القرآن الكريم إلا موعظة وعبرة وتذكير للخلق أجمعين، فلست بنذير لهؤلاء خاصة.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥)

أي كم من حجة ودلالة تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر وألوان النبات وأحوال المتقدمين وآثار الأمم السالفة في الأرض (يمرّون عليها) ويبصرونها ويشاهدونها وهم عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا ينتبهون.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦)

أي أنهم يقرون بوجود الخالق، ولكن أكثرهم يجعل له شريكاً، فاليهود أو طائفة منهم يقولون: لله ولد هو عزير، والنصارى يقولون: بل المسيح، والعرب يشركون الأصنام في العبادة، ويخاطبون الله بقولهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.. ولا فرق بين من جحد وأشرك.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

أي أفأمـن هـؤلاء الكفـار أن يأتيهم عذاب مـن الله سبحانه يُعمّهم ويحيط بهم، أو تأتيهم القيامة فجأة وعلى غفلة منهم، وهم في أسواقهم لا يشعرون بقيامها.

أصدق دروس للعبر:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

أمـر الله محمـداً ﷺ أن يقـول للمشركيـن: هذه سبيلـي وسنتي، وحقيقتهـا ظاهراً وواقعاً هي الدعوة الى الله سبحانه عن علم وبالحجة والمنطـق.. وليس من شـك أن كل الأنبياء واتباعهم المخلصين يدعون الـى الايمان بـالله واليـوم الآخـر، وإقامة الحـق والعـدل، يدعون الى ذلك بالحكمـة والموعظة الحسنة، ومجابهة الحجـة بالحجة، والفكرة بالفكـرة على المنطـق السليم الذي تعتمد عليـه رسالة النبيين، ودعوة المصلحيـن، هذا بيـان وتفسير لدعـوة محمد ﷺ وأنهـا منزهة عن الشرك بشتى معانيه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩)

بيّـن سبحانه أنه إنمـا أرسل الرسل من أهـل الأمصار لأنهم أرجح عقـلاً وعلماً مـن أهل البوادي لبعد أهل البوادي عـن العلم وأهله، أفلم يسير هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد في الأرض (فينظروا كيـف كان عاقبـة) الأمم المكذبيـن لرسلهم كيـف أهلكهم الله بعذاب

الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم، ولكي يتعرفوا أن الطريق الى سعادة الانسان في الآخرة هو العمل الصالح في هذه الحياة أفلا يفهمون ما قيل لهم فيعلمون.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠)

دعا الرسل الأمم الى الله تعالى فلم يستجيبوا، فأنذروهم بعذاب أليم في الدنيا قبل الآخرة فسخروا واستهانوا.. وانتظر الرسل نزول العذاب على المستهزئين، وطال أمد الانتظار الى حد يستدعي اليأس والظن بأن العذاب لن يأتي، والوعيد به لن يتحقق. ولما بلغ أمد الانتظار هذا المبلغ جاء النصر للأنبياء، وصدق الوعيد والتهديد، ووقع العذاب على المجرمين ونجا الذين اتقوا الا يمسهم السوء، ولا هم يحزنون.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١)

أي في قصص يوسف عليه السلام وأخوته فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما أصابه عليه السلام من ملك مصر والجمع بينه وبين أبويه واخوته بعد إلقائه في الجب وبيعه وحبسه – لذوي العقول، وما كان ما أدّاه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل عليه حديثاً يختلق كذبا، ولكن كان تصديق الكتاب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشر به في الكتب، وبيان كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام وشرائع الاسلام، ودلالة ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماً وعملاً.

دروس من قصة يوسف عليه السلام :

أثر القصة في حياة الناس:

مـع ملاحظـة أن القسم المهم جداً من القرآن قـد جاء على صورة تأريـخ للأمم السابقة وقصصـ الماضين، فقد يبرز هـذا السؤال، لم يحمل هذا الكتاب التربوي، وصانع شخصية الانسان، كل هذا «**التأريخ والقصص ؟!**»

يتضح الجواب من خلال عدة نقاط:

أ- إن التاريخ مختبر المسائل المختلفة للبشر، وما رسم الانسان في ذهنه مع الدلائل العقلية يجده بصورة عينية على صفحات التاريخ..

وقصصـ الماضين مجموعة مـن أكثر التجارب قيمـة، وتعرف أن خلاصة الحياة ومحصولها ليس شيئاً سوى التجربة.

مطالعـة تاريخ الماضين تجعل عمر الانسـان طويلاً بقدر أعمارهم حقـاً لأنهاتضـع مجموعـة تجاربهـم خـلال أعمارهـم تحـت تصرفه واختياره.

فالتاريـخ مـرآة تعكس عليهـا جميع مـا للمجتمعـات الانسانية من محاسن ومساوىء أو نواقص وزيادات وانتصاراتها وهزائمها والعوامل لكلّ منها.

ب – القصـة سواء كُتبت نثـراً أو شعراً، أو عرضت على شاشة المسرح أو بواسطـة الفيلم السينمائي، فإنها تترك أثراً في المتلقي بحيث لا تكون للاستدلالات العقلية مثل هذا التأثير فيه.

ج- القصـة والتاريـخ مفهومـان عند كل أحد على خـلاف الاستدلالات العقلية، فإن الناس في فهمهما ليسو سواسية.

ومجموعة هذه الجهات تبيّن أن القرآن خطا أحسن الخطوات في بيان التواريخ والقصص في سبيل التعليم والتربية.

الرؤيا والحلم:

إن مسألة الرؤيا في المنام من المسائل التي تجلب أفكار الأفراد العاديين والعلماء الى نفسهما دائماً..

فما هذه الأحلام التي يراها الانسان في منامه من صور سيئة أو رائعة، وميادين موحشة أو مؤنسة، وما يثير السرور أو الغم في نفسه؟!

أهي مرتبطة بالماضي الذي وجد مكاناً في أعماق روح الانسان وأظهر بعض التبديلات والتغييرات ؟ أم هي مرتبطة بالمستقبل الذي تلتقط صورة عدسة الروح برموز خاصّة من الحوادث المستقبلية ؟! أو هي أنواع مختلفة، منها ما يتعلق بالماضي، ومنها ما يتعلق بالمستقبل، ومنها ناتج عن الميول النفسية والرغبات وما الى ذلك..؟!

إن القرآن يصرّح في آيات متعددة أن بعض هذه الأحلام انعكاسات في المستقبل القريب أو البعيد.

وقد قرأنا عن رؤيا يوسف عليه السلام في الآيات المتقدمة، والسجناء مع يوسف عليه السلام أو قصة الرؤيا التي كانت لعزيز مصر، وجميعها تكشف الحجب عن المستقبل.

وفي غير سورة يوسف إشارات الى الرؤيا التي كان لها تعبير أيضاً، كما ورد في سورة الفتح عن رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد في سورة الصافات عن رؤيا ابراهيم الخليل عليه السلام.

وواضح أن أحلام الشيطان ليست شيئاً حتى يكون لها تعبير، ولكن

مـا يكون من الله تعالى فـي الرؤيا فهي تحمل بشـارة حتماً.. ويجب أن تكون رؤيا تكشف الستار عن المستقبل المشرق.

التفسير المادي للرؤيا:

يقول الماديون: يمكن أن تكون للرؤيا عدة علل:

أ- قد تكون الرؤيا نتيجة مباشرة للأعمال اليومية، أي أن ما يحدث للانسان في يومه قد يراه في منامه.

ب- وقـد تكـون الرؤيا عبـارة عن سلسلـة من الأمانـي التي تتحقق فيراها الانسان في النوم كما يرى الظمآن في منامه الماء.

ج- وقـد يكـون الباعـث للرؤيـا الخوف من شـيء ما، وقـد كشفت التجارب أن الذين يخافون من السارق يرونه في النوم.

فعلـى هذا تكـون الأحـلام مرتبطة بالماضـي دائمـاً ولا تخبر عن المستقبـل أبـداً، نعـم يمكـن أن تكـون وسيلة جيـدة لقـراءة «**ضمير اللاوعي**».

ومـن هنا فهـم يستعينـون لمعالجة الأمراض النفسيـة المرتبطة بضمير «**اللاوعي**» باستدراج أحلام المريض نفسه.

التفسير الروحي للرؤيا:

وأمـا فلاسفة الروح فلهم تفسير آخر للرؤيا، فهم يقولون: إن الرؤيا والاحلام على أقسام:

أ- الأطياف والرؤيـا المرتبطة بماضي الحياة والرغبات والأمنيات التي تشكل قسماً مهماً من الأحلام.

ب- الأطيـاف غير المفهومـة والمضطربة وأضغـاث الأحلام التي

تنشأ من التوهم والخيال.

ج- الأطياف المرتبطة بالمستقبل والتي تخبر عنه.

ومما لا شك فيه أن الأحلام المتعلقة بالقسم الأول والثاني (أ- ب) ليس لها تعبير خاص، ولا يمكن أن تكون تعبيراً عن مستقبل الحياة... وإن كان علماء النفس يستفيدون منها للدخول الى ضمير اللاّوعي في البشر.

أما الأطياف و «**الرؤى**» المتعلقة بالمستقبل فهي على نحوين:

أ- قسم منها أحلام واضحة وصريحة لا تحتاج الى تعبير.. وأحياناً تتحقق في المستقبل القريب أو البعيد دون أي تفاوت.

ب- وقسم آخر تتحدث عن المستقبل، ولكنها في الوقت ذاته غير واضحة، وقد تغيّرت نتيجة العوامل الذهنية والروحيّة الخاصة فهي تحتاج الى تعبير.

ولكل من هذه الأحلام نماذج ومصاديق كثيرة ولا يمكن إنكار جميعها وهي تتكرر في حياتنا أو حياة من تعرفهم بشكل لا يمكن عدّه من باب المصادفات والاتفاقات.

ومن خلال التحقيق مع الأصدقاء القريبين يمكن الحصول على شواهد كثيرة من هذه الأحلام، وهذه الأحلام لا يمكن تعبيرها عن طريق التفسير المادي أبداً، وإنما الطريق الوحيد هو تعبير فلاسفة الروح والاعتقاد باستقلال الروح.

حفظ الأسرار:

من الدروس التي نستلهمها من هذه الآيات ان نحفظ الأسرار، وينبغي ان يطبق هذا الدرس أحياناً حتى أمام الأخوة، فدائماً تقع

فـي حيـاة الانسان أسرار لو أذيعـت وفشت لتهدّد مستقبلـه أو مستقبل مجتمعـه بالخطر، والمواظبـة على حفظ هذه الأسـرار دليل على سعة الروح وتملـك الارادة، فكثير من ضعاف الشخصيـة أوقعوا أنفسهم أو مجتمعهـم في الخطر بسبب إفشاء الأسـرار.. وقد ورد عن الامام علي بـن موسى الرضا عليه السلام إذ قـال: «**لا يكون المؤمن مؤمنـاً حتى تكون فيـه ثلاث خصال: سنة مـن ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليّه فأما السنة من ربّه فكتمان السر، وأما السنّة من نبيه فمداراة الناس، وأما السنة من وليّه فالصبر على البأساء والضراء**»[1].

خطر الحسد:

نتعلـم من هـذه القصة أن الحسد يمكن أن يدفـع الانسان حتى الى قتـل أخيه، أو أن يورث له آلاماً وهموماً شديدة وإنّ نار الحسد الداخلية إذا لـم يمكـن إخمادها فإنها ستحـرق صاحبها بالاضافـة الى إحراق الآخرين بها، لذلك نجد الأحاديث تنهى عن هذه الصفة الرذيلة منها: عـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنـه قال: «**إنّ الله نهى موسى عن الحسـد وقال له: إن الحاسـد ساخـط لنعمي صـادّ لقسمي الذي قسمتُ بيـن عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني**»[2]

وعـن الامـام الصـادق عليه السلام قـال: آفـة الديـن الحسـد والعجب والمفاخـرة «**وفـي حديـث آخر يقـول: «إن المؤمن يغبـط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط**»[3]

---

(١) بحار الأنوار (ط) جديدة ج ٧٨ ص ٣٣٤
(٢) أصول الكافي: ج ٢ ص ٢٩٦
(٣) نفس المصدر

لا قصاص ولا اتهام قبل الجناية:

نبـي اللّه يعقـوب عليه السلام بالرغـم من علمه بمـا سيقدم عليـه إخوة يوسـف عليه السلام ، وتحذيره ولـده الاّ يقصص رؤياه علـى إخوته، وأن يكتم الأمـر، إلا أنه لم يكـن مستعداً لأن يتهمهم بقصـد الاساءة الى يوسف عليه السلام ، بـل كان عذره إليهم أنه يحزنـه فراقه، ويخاف أن يأكله الذئب في الصحراء.

وإن الأخلاق والمعايير الانسانيـة والأسس القضائية العادلة توجب ذلـك أيضاً، فحيث لم تكن علامة ظاهـرة على مخالفة شخص ما فلا ينبغي اتّهامه، فالأصل البراءة والصحة والطّهارة، إلاّ أن يثبت خلافه.

تلقين العدو الحجة:

المسألـة الأخرى أننا نقـرأ راوية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**لا تلقنوا الكذاب فيكذب فإن بني يعقوب عليه السلام لم يعلموا أن الذئب يأكل الانسان حتى لقّنهم أبوهم**»[1]

إشارة إلى أنه قد يحدث أحياناً أن لا يلتفت الطرف الآخر الى الحيلة والـى طريق الاعتذار وانتخاب طريق الانحراف، فعليكم أن تحذروا من ذكر الاحتمالات المختلفة التي تبين له طريق الانحراف.

ومثل هذا يشبه تماماً ما لو قال الانسان لطفله: لا ترم الكرة باتجاه المصباح، ولم يكن الطفل يعلم أن الكرة يمكن أن ترمى نحو المصباح، فيلتفت الى مثل هذ العمل..

---

(١) نور الثقلين: ج ٢ ص ٤١٥

حبل الكذب قصير:

قصــة يوســف عليه السلام تثبت مرة أخرى هــذا الأصل المعــروف الذي يقــول: إن الكذاب لا يستطيع أن يكتم سرّه دائماً، لأن الواقعيات العينية حين تظهر الى الوجود الخارجي تظهر معها روابط مع موضوعات أخرى تدور حولها، وإذا اراد الكاذب أن يهيىء جوّاً لمسألة غير صحيحة فإنه لا يستطيــع أن يحفظ هذه الروابــط مهما كان دقيقاً. فإن أقل غفلة منه تسبــب وقوعه في التناقض، فتتسبب هــذه الغفلة في فضيحة صاحبها، وتكشف الأمر الواقعي.. وهذا درس كبير لأولئك الذين يريدون لأنفسهم المحافظــة على مــاء وجوههم ومنزلتهم فــي المجتمــع، ويحبون أن لا يلجــأوا الى الكذب فيتهــدد موقعهم الاجتماعي بالخطــر وينزل عليهم غضب الله تعالى.

ما هوالصبر الجميل:

الصبــر أمــام الحوادث الصعبــة والتيارات الشديدة يــدل على قوّة شخصيــة الانسان، وعلى سعة روحه بسعة مــا تتركه هذه الحوادث فلا يتأثر ولا يهتز لها.

قــد يتصبــر الانســان أحياناً، ولكنــه سرعان ما يبــدل وجه الصبر بكلماتــه النابيــة التي تدل على عــدم الشكر وعلى عــدم تحمل الحادثة وعلى نفاد صبره.

ولكــن المؤمنين الذين يتمتعون بإرادة قويّة واستيعاب للحوادث، هم أولئك الذين لا يتأثرون بها ولا يجري على لسانهم ما يدل على عدم الشكر وكفران النعمة أو الجزع أو الهلع، صبر هؤلاء هو الصبر الجميل..

قد يبرز الآن هذا السؤال، وهو أننا نقرأ في الآيات الأخرى أن يعقوب عليه السلام بكى على يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، أفلا ينافي ما صدر من يعقوب عليه السلام صبره الجميل ؟! والجواب على هذا السؤال في جملة واحدة، وهي: أن قلوب عباد الله سبحانه مركز للعواطف، فلا عجب أن ينهمر دمع عينهم مدراراً المهم أن يسيطروا على أنفسهم، ولا يفقدوا توازنهم، ولا يقولوا شيئاً يسخط الله تعالى.

ومثل هذا السؤال وجه الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين بكى على موت ولده ابراهيم حيث قالوا له: يا رسول الله، أتنهانا عن البكاء وتبكي ؟! فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ**» وفي رواية أخرى أنه قال: «**ليس هذا بكاء إنه رحمة**»[1] إذن العيب هو أن يقول الانسان ما يسخط الرب.

جهاد النفس:

نحن نعرف أن أعظم الجهاد في الاسلام هو جهاد النفس الذي عبر عنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بـ «**الجهاد الأكبر**» أي هو جهاد أعظم من جهاد العدو الذي عبر عنه بالجهاد الأصغر.. وإذا لم يتوفر في الانسان الجهاد الأكبر فلن ينتصر في جهاده على أعدائه.

وفي القرآن المجيد ترتسم صور شتى في ميادين الجهاد، وتتجلى فيها علاقة الأنبياء وأولياء الله الصالحين، وقصة يوسف عليه السلام، وما كان من عشق امرأة العزيز الملتهب، واحدة من هذه الصور، وبالرغم من أن القرآن لم يوضح جميع ما في القصة من خفايا وزوايا، إلا أنه

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٥٧ و ١٥٨

أجملها بصورة موجزة في جملة قصيرة هي (وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه) وبيّن شدة هذا الطوفان.

ولقد انتصر يوسف عليه السلام في هذا الصراع بوجه مشرق أبيض لثلاثة اسباب:

أ- إنه التجأ الى الله سبحانه واستعاذ به، وقال (معاذ الله).

ب- التفاته الى «**الزاد والملح**» الذي أكله عند عزيز مصر، وما تناوله في بيته فاثر فيه فلم ينس فضله طيلة حياته..

ج – بناء شخصيته وعبوديته المقرونة بالأخلاص التي عبر عنها القرآن (إنه من عبادنا المخلصين) يستفاد منها أنها منحته القوة والقدرة ليخرج من ميادين الوسوسة التي تهجم عليه من الداخل والخارج بانتصار. وهذا درس كبير لجميع الناس الأحرار الذين يريدون أن ينتصروا على عدّوهم الخطر في ميادين جهاد النفس تقرأ في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرّية فلما رجعوا قال: «**مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر**» «**فقيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر قال: «جهاد النفس**»[1]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء له قال: «**إن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان، فقد وكلني خذلانك الى حيث النصب والحرمان**»[2]

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ / ص ١٢٤

(٢) وسائل الشيعة: ج ١١/ ص ١٢٢

حماية الله سبحانه في لحظات الشدة والأزمة:

الدرس الكبير الآخر الذي نتعلمه من قصة يوسف عليه السلام هو حماية الله تعالى ورعايته الواسعة في أشد الحالات، والتي تتدارك الانسان – وكما قال سبحانه: ﴿يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ – من طرفٍ لا يُصدّق أبداً أن يوماً من الأمل سيطلّ من جديد، ويكون قدّ القميص سنداً للطهارة والبراءة، ذلك القميص يضع الحوادث، فيوماً يفضح إخوة يوسف عليه السلام ويوماً يفضح امرأة العزيز، ويوماً آخر يكون واهباً البصر والنور ليعقوب عليه السلام وريحه المعروفة يسافر مع نسيم الصباح من مصر الى أرض كنعان ويبشر بقدوم الغائب.

وعلى كل حال فإن لله سبحانه ألطافاً خفية غير مطلع على عمقها أحد، وحين يهب نسيم هذه الألطاف تتغير المسارح بشكل لا يمكن حتى لأذكى الأفراد أن يتنبأ عنها !

بل قد يتفق أحياناً أن خيوط العنكبوت تبدل مسيرة الحياة لأمة أو قوم بشكل دائم، كما حدث في قصة غار ثور وهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مكر امرأة العزيز:

في الآيات المتقدمة إشارة الى مكر بعض النسوة (طبعاً النساء اللائي لا ارتباط لهن بشيء إلا هواهنّ كإمرأة العزيز) وهذا المكر والتخيل الموصوف بالعظمة (إن مكرهنّ عظيم) يوجد منه في التاريخ والقصص التي فيها ظلال تأريخية أمثلة كثيرة في هذه المجالات.. ومطالعة مجموعها تكشف أن مثل هؤلاء النسوة يسوقهن هواهن نحو هدفهن يرسمن خططاً لا نظير لها من نوعها.

راينــا في القصــة المتقدمة كيف ان امرأة العزيــز بعد الهزيمة في عشقها وافتضاح أمرها، برأت نفسها بمهارة واتهمت يوسف عليه السلام ولم تقل إن يوسف عليه السلام قصد السوء بي، بل افترضت ذلك أمراً مسلّماً به، وإنمــا سألت فقط عن جــزاء مثل من يعمل هذا العمل !! جزاء لا يتوقف علــى السجن فحسب بل على صور غير معلومــة أو محدودة كالعذاب أو الاعدام.. ونرى أيضاً في قصة هذه المرأة بالنسبة لملامة نسوة مصر لهــا إذ عشقت غلامها تستعمل مثل هذا المكــر أو الخداع، وهذا تأكيد آخر على مكر هؤلاء النسوة.

السجن إما أن يكون مركزاً للارشاد أو الفساد:

المشهور أن يوسف عليه السلام قضى في السجن سبع سنين، إلا أن بعضهم قال: إن يوسف عليه السلام بقي في السجن اثنتي عشرة سنة، خمس قبل رؤيا صاحبي سجنه،وسبع بعدهــا، وكانت سنوات ملأى بالتعب والنصب إلا أنها من جهة الارشاد كانت سنوات مفعمة بالبركة والخير.

للسجن تأريخ مؤلم ومثير للغم جداً في هذا العالم، فأسوأ المجرمين وأحســن الناس كلاهما دخــل السجن، ولهذا السبــب كان مركزاً دائماً لأفضل الدروس البنّاءة أو لأسوأ الاختبارات.

وفــي الحقيقــة إن السجــون التي يجتمــع فيها المفســدون كالحلقة الواحدة تعدّ معهداً عالياً للفساد ! وفي هذه السجون تتم مبادلة الخطط التخريبيــة والتجارب. وكل منحــرف يعلّم درسه فــي الواقع للآخرين، ولهــذا السبب حين يطلقون من السجن يواصلون طريقهم باسلوب أكثر مهارة مــن السابق وبتشكيل جديد.. إلا أن يلتفــت الرقباء على السجن

لهذا الموضوع، ويبدلوا هؤلاء الأفراد الذين فيهم الاستعداد الى عناصر صالحة ومفيدة وبنّاءة.

وأما السجون التي تتشكل من الصالحين والأبرياء والنزيهين والمجاهدين في طريق الحق والحرية، فهي معاهد ومراكز لتعليم الدروس العقائدية والطرق العملية للجهاد والمبارزة والبناء.

وهذه السجون تعطي فرصة طيبة للمكافحين في طريق الحق ليؤدوا دورهم، ولتتلاءم جهودهم بعد التحرر من هذه السجون.

فحين انتصر يوسف عليه السلام على امرأة محتالة ماكرة متبعة لهواها ودخل السجن، سعى أن يبدل محيط السجن الى محيط من الارشاد ومركز للتعليم والتربية، حتى أنه وضع أساس حريته وحرية الآخرين في ما كان يخطط هناك. وهذا الماضي يعطينا درساً مهماً، وهو ان الارشاد والتربية ليسا محدودين في مركز معين كالمسجد والمدرسة، بل ينبغي أن يستفاد من كل فرصة سانحة للوصول الى هذا الهدف، حتى ولو كانت في السجن وتحت أثقال القيود، وهذا درس لكل الناس في الماضي والحاضر والمستقبل.

النفس الأمّارة:

يقسم علماء النفس والأخلاق النفس، «**وهي الاحساسات والغرائز والعواطف الانسانية**» الى ثلاثة مراحل، وقد أشار إليها القرآن الكريم.

الأولى: «**النفس الامارة**» وهي النفس التي تأمر الانسان بالذنب وتجرّه الى كل جانب، ولذا سمّوها «**أمّارة**» وفي هذه المرحلة لا يكون العقل

والايمان قد بلغا مرحلة من القدرة ليكبحا جماحها، بل في كثير من المواقع يستسلمان للنفس الامارة، وإذا تصارعت النفس الامارة مع العقل في هذه المرحلة فإنها ستهزمه وتطرحه أرضاً، وجميع شقاء الانسان أساسه النفس الامارة بالسوء.

الثانية: «**النّفس اللّوامة**» وهي التي تجعل الانسان مرتقباً بعد التعلّم والتربية والمجاهدة، وفي هذه المرحلة ربما يخطىء الانسان نتيجة طغيان الغرائز، ولكن سرعان ما يندم وتلومه هذه النفس، ويصمم على تجاوز هذا الخطأ والتعويض عنه، ويغسل قلبه وروحه بماء التوبة.

وبعبارة أخرى: في المواجهة بين النفس والعقل، قد ينتصر العقل أحياناً وقد تنتصر النفس،إلا أن النتيجة والكفة الراجحة هي للعقل والايمان.

ومن أجل الوصول الى هذه المرحلة لا بد من الجهاد الأكبر، والتمرين الكافي، والتربية في مدرسة الأستاذ، والاستلهام من كلام الله وسنن الأنبياء والأئمة عليهم السلام. وهذه المرحلة هي التي أقسم الله بها في سورة القيامة قسماً يدلّ على عظمتها (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنّفس اللوامة).

الثالثة: «**النفس المطمئنة**» وهي المرحلة التي توصل الانسان بعد التصفية والتهذيب الكامل الى أن يسيطر على غرائزه ويهدّئها فلا تجد القدرة المتواصلة للمواجهة مع العقل والايمان، لأن العقل والايمان بلغا درجة من القوة بحيث لا تقف أمامهما الغرائز الانسانية.

هذه مرحلة الاطمئنان والسكينة.. التي لا يظهر عليها الانهزام أمام أشد الطوفانات.

وهـذا هو مقام الأنبياء والأولياء وأتباعهم الصادقين، أولئك الذين تدارسـوا الايمان والتقوى في مدرسة رجال الله تعالى، وهذبوا أنفسهم سنين طوالاً، وأوصلوا الجهاد الأكبر الى آخر مرحلة.

وإليهم والى أمثالهم يشير القرآن الكريم في سورة الفجر ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

الشكر على الانتصار:

مـن الدروس التـي نتعلمهـا من قصـة يوسف عليه السلام، هـو أنه حين الانتصار على العدو وكسر شوكته لا بد أن لا ننسى العفو والرحمة، وأن لا نعامله بقساوة، فإن إخوة يوسف عليه السلام قد عاملوه أشد المعاملة وسددوا إليـه الضربات القوية التـي أشرفت به على نهايتـه وأوصلته الى أبواب الموت، ولو لم تشمله عناية الله سبحانه وتعالى، لعجز عن الخلاص مما أوقعوه فيـه، هذا إضافة الى المصائب والآلام التي تحملها أبوه، لكنهم بعد ذلك جميعاً وقفوا أمام يوسف عليه السلام وهو الكبير المطاع والذي بيده القـوة والقدرة، لكنه عاملهم بلطـف وإحسان، ومن حسن الصدف أننا نـرى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمتحن بمثل هذه المواقـف الحرجة، فمثلاً حين فتـح رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكـة وأذل المشركين وهزمهم وكسـر أصنامهم وداس شوكتهم وكبرياءهم، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كما رواه ابن عباس) الى جوار الكعبة وأخذ بحلقة بابها وكان المشركون قد التجوا إليها وهم

ينتظـرون حكم رسول الله ﷺ فيهم وقـال كلمته المشهورة: الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم توجه الى قريش وخاطبهم: «**ماذا تظنون يا معشر قريش ؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريـم، وقـد قـدرت ! قال: وأنـا أقول كما قال أخـي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم**».

أي أن اليـوم ليـس يـوم ملامـة وانتقام وإظهـار الحقـد والضغينة «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

يقـول الامام علي عليه السلام : «**إذا قدرت على عـدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه**».

وهناك دروس أخرى يمكـن استفادتها من خلال الرجوع الى بطون التفاسير.

سُورَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سورة نوح عليه السلام مكيّة وآياتها ثمانٍ وعشرون آية

فضيلة هذه السورة:

جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح**»[1]

وفي حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويقرأ كتابه فلا يدع أن يقرأ سورة (إنا أرسلنا نوحاً) فأيّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة أسكنه الله مساكن الأبرار وأعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامة من الله...**»

الهدف من قراءة السورة هو إقتباس العلوم من أفعال وسير الأنبياء (عليهم السلام) من أجل الاستقامة والصبر في طريق الدعوة الى الله تعالى وليست القراءة الخالية من التفكر ولا التفكر الخالي من العمل.

محتوى السورة:

هذه السورة تشير الى قصة نوح عليه السلام التي ذكرت في العديد من سور القرآن منها: سورة الشعراء، والمؤمنون، والأعراف والأنبياء، وبشكل أوسع في سورة هود عليه السلام.

جاء في هذه السورة مقطع خاص من قصة نوح عليه السلام وحياته،

(١) مجمع البيان ج ٩/ ص ٥٤٠

وهذا القسم يرتبط بالدعوة المستمرة والمتتابعة من قبله الى التوحيد، وترتبط بكيفيتها وعناصرهـا، والتخطيط الدقيق في هذا الأمر الهام، وذلك مقابل قوم معاندين ومتكبرين على الانقياد الى الحق.

وبلحاظ أن هذه السورة قد نزلت في مكة، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين القلائـل في ذلك الزمان كانوا يعيشون ظروفـاً مشابهة لظروف عصر نوح عليه السلام وأعوانه، فإنها كانـت تعلمهم أمور كثيرة، وكانت هذه واحدة من أهداف إيراد هذه القصة، ومنها:

١- أنهـا تذكرهـم كيـف يبلغـون الرسالـة للمشركيـن عـن طريق الاستدلال المنطقي مع المحبة والمودة، واستخدام آية طريقة تكون مفيدة ومؤثرة في الدعوة.

٢- أنهـا تعلمهـم الثبات والنشاط في طريق الدعـوة الى الله تعالى وعدم التكاسل مهما طالت الأعوام، ووضع الأعداء والعوائق.

٣- أنهـا تعلمهـم كيف يرغبونهـم ويشجعونهم تـارة، وتكون لديهم عوامل الانذار والرهبة تارة أخرى والاستفادة من كلا الطريقين في الدعوة الى الله جلّ وعلا.

٤- الآيات الأخيرة من هذه السورة هي تحذير للمشركين المعاندين إذا لـم يستسلموا للحق، وتخلفوا عن أمـر الله سبحانه فإن عواقب أمورهم تكون وخيمة.

وبتعبيـر آخر فـإن هذه السـورة ترسم أبعـاد الصـراع الدائم بين أصحـاب الحق وأصحاب الباطـل، وترسم سبيل أصحـاب الحق الذي يجب عليهم سلوكه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ
مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾

اللغة والبيان:

استغشوا : طلب التغشي.

وأصـــــروا: الاقامة على الأمر بالعزيمة عليه.

مـــــــدراراً: الكثير الدرور بالغيث والمطر.

ويمددكم: الامداد الحاق الثاني بالأول على النظام حالاً بعد حال يقال: أمدّه بكذا ومدّ النهر نهرآخر.

بأموال: الأموال جمع المال وهو عند العرب النعم.

وقاراً: أصل الوقار الثبوت، وما به يكون الشيء عظيماً من الحلم الذي يمتنع معه الخرق.

ترجون: من الرجاء بمعنى الخوف.

فجاجاً: الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فج، وقيل الفج المسلك بين جبلين.

سواعاً: المراد منه هنا صنم.

كبّاراً: الكبير جداً. يقال كبير ثم كُبار ثم كبّار ومثله عجيب وعُجاب وعُجّاب، وحسن وحُسان وحُسّان.

ديّاراً: فيقال من الدوران، يقال ما بالدار ديّار، أي ما بها أحد يدور في الأرض.

التفسير:

رسالة نوح عليه السلام الأولى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)

أي بعثنا نوحاً عليه السلام لينذر قومه بعذاب الدنيا قبل الآخرة، الاعتماد على الانذار والترهيب غالباً ما يؤثر تأثيراً بالغاً، مع أن الأنبياء كانوا منذرين تارة ومبشرين تارة أخرى، نوح عليه السلام هو من أولي العزم، كان صاحب أول شريعة إلهية، وله دعوة عالمية.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢)

أضاف عليه السلام قومه الى نفسه، فكأنه قال: أنتم عشيرتي يسؤوني ما يسوؤكم، إني لكم مخوّف، ومبين وجوه الأدلة في الوعيد وبيان الدين والتوحيد.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (٣)

أي اعبدوا الله سبحانه وحده ولا تشركوا به شيئاً واتقوا معاصيه فيما أمركم به لأن طاعتي مقرونة بطاعة الله تعالى فهي واجبة عليكم لمكان نعمه السابقة التي لا توازيها نعمة منعم.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

أي فإنكم إن فعلتم ذلك واستجبتم لدعوتي يغفر لكم ذنوبكم السالفة، على القاعدة المعروفة، (الاسلام يجب ما قبله) ويمهلكم سبحانه حتى تستوفوا العمر الطبيعي وإلاّ عجل واستأصلكم بالطوفان ونحوه، يا ليتكم تعلمون لتسرعوا الى الايمان.

لم تبق وسيلة إلاّ واستخدمها لهدايتهم ولكن !!!

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (٥)

القائل هو نوح عليه السلام والذي دعا إليه هو عبادة الله تعالى وتقواه، وطاعة رسوله، والدعاء ليلاً ونهاراً، كناية عن دوامه من غير فتور ولا توانٍ.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ (٦)

أي لـم يزدادوا بدعائي إياهم إلا فراراً من قبوله ونفاراً منه وادباراً عنه، وإنما سمّي كفرهم عنـد دعائه عليه السلام زيادة في الكفر لأنهم كانوا على كفر وضـلال فلما دعاهم نوح عليه السلام الى الاقلاع عن ذلك والاقرار بـه ولم يقبلـوه فكفروا بذلك كأن ذلك زيادة فـي الكفر لأن الزيادة هي إضافـة الشيء الى مقـدار قد كان حاصلاً ولو حصـلا جميعاً في وقت واحد لم يكن لأحدهما زيادة على الآخر.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (٧)

لكـي لا يسمعـوا صوت الحـق كانوا يضعـون أصابعهم فـي آذانهم، ويلفـون الثياب حـول أنفسهـم أو يضعونها علـى رؤوسهـم لتساعدهم أصابعهم على استقرارها في الآذان لئلا تصل أمواج الصوت الى غشاء المـخ، وينتقل الخطـاب من هناك الى المخ! وربمـا كانوا يتقنعون لئلا تقع أعينهـم على الهيئة الملكوتية لنوح عليه السلام هـذا النبي العظيم، وفي الحقيقة كانـوا يصرّون على أن تتوقف الآذان عـن السماع والعيون عن النظر! وتكبّروا وانفوا عن قبول الحق.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (٨)

أي دعوتهـم بأعلـى صوتـي الى الايمـان في حلقات عامـة وبصوت جهوري.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٩)

أي دعوتهـم فـي العلانية وفـي السّر، وسلكت معهم فـي الدعوة كل مذهب وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا.

ثمرة الايمان في الدنيا:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠)

أي اطلبـوا منه المغفرة علـى كفركم ومعاصيكـم، فمتى ما رجعتم عن كفركـم ومعاصيكم، وندمتم على خطيئتكم، ولجأتم الى الله تعالى ومغفرته فستجدونه غفّاراً، وإضافة الى ذلك:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (١١)

أي أن الله تعالـى يفيضـ عليكم بأمطار الرحمـة المعنوية، وكذلك بكثرة الأمطار المادية المباركة.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢)

أي يكثـر اموالكم وأولادكـم الذكور، ويجعل لكـم بساتين في الدنيا وأنهاراً تسقون بها جناتكم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣)

أي معاشر الكفار، ما لكم لا تعظمون الله تعالى حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤)

أي خلقكـم طـوراً نطفة ثم طوراً علقة ثم مضغـة ثم عظاماً ثم كسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر نبت له الشعر وكملت صورته.

والله أنبتكم من الأرض نباتاً:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (١٥)

أي تأملوا الكون ونظامه واتقانه الذي يدل على وجود المكون والمنظم وقدرته وعظمته، وأن كل ما نراه من الكواكب المتحركة والثابتة بالعين المجردة أو غيرها هي من السماء الأولى، ثم يليها السماوات الست الأخرى متطابقة بعضها فوق الأخرى، ويمكن في المستقبل أن يتم الكشف على ما في السماوات من عجائب الواحدة بعد الأخرى.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١٦)

الآية مسوقة لبيان وقوع التدبير الالهي على الانسان بما يفيض عليه من النعم حتى تثبت ربوبيته فتجب عبادته، وعلى هذا فكون القمر نوراً هو كونه منوراً لأرضنا بنور مكتسب من الشمس فليس منوراً بنفسه حتى يعد سراجاً، وكون الشمس سراجاً هو كونها مضيئة لعالمنا ولولاها لانغمرنا في ظلمة ظلماء.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧)

أي انبتكم إنبات النبات وذلك أن الانسان تنتهي خلقته الى عناصر أرضية تركبت تركباً خاصاً به يغتذي وينمو ويولد، كلنا من آدم وآدم من تراب.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (١٨)

كنتم في البدء تراباً، ثم تعودون الى التراب ثانية ومن كانت له القدرة على ان يخلقكم من التراب هو قادر على أن يحييكم بعد الموت.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ (١٩)

أي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها.

﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (٢٠)

ثم بين أنه سبحانه إنما جعلها مبسوطة، لتسلكوا فيها طرقاً واسعة ومختلفة، وإنما عدّد سبحانه هذه الضروب من النعم امتناناً على خلقه وتنبيهاً لهم على استحقاقه للعبادة الخالصة من كل شرك، ودلالة لهم على أنه عالم بمصالحهم ومدبّر لهم على ما تقتضيه الحكمة، فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود.

إن الله معك:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٢١)

عاد سبحانه الى ذكر نوح عليه السلام، وشكواه من قومه الى ربه، بعصيان ما أمرهم به وما نهاهم عنه، واتبعوا أغنياء قومهم اغتراراً بما أتاهم الله تعالى من المال والولد فقالوا لو كان هذا رسولاً لله سبحانه لكان له ثروة وغنى، فأورثهم ذلك خسرانا من رحمته عز وجلّ.

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ (٢٢)

أي كبيراً وعظيماً لأنهم صدوا المستضعفين عن الاستجابة لدعوة نوح عليه السلام وبالغوا في إيذائه وإيذاء من آمن برسالته.

على الفاسدين والمفسدين أن يرحلوا:

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣)

أي لا تتركوا عبادة أصنامكم ثم خصّوا أصناماً لهم معروفة بعد دخولها في الجملة الأولى تعظيماً لها وتأكيداً على عدم ترك عبادتها. وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، خمس من آلهتهم لهم اهتمام تام بعبادتهن.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤)

أي أضل كبراؤهم كثيراً من الناس (ولا تزد الظالمين) إلا خذلاناً وعذاباً شديداً.

مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥)

أي من أجل معاصيهم وذنوبهم أغرقوا بالطوفان (فادخلوا ناراً) لا يقدّر عذابها بقدر، ولم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله سبحانه.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦)

دعا نوح عليه السلام بهذا الدعاء بأن لا تدع منهم أحداً إلا أهلكته، وذلك عندما يئس من هدايتهم بعد المشقة والعناد في دعوته إياهم الى الاتجاه الصحيح، فلم يؤمن إلا قليلاً منهم.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (٢٧)

أي إن تتركهم ولم تهلكهم يضلّو عبادك عن الدين بالاغواء والدعاء

الى خلافه، ولا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافراً، وإنما قال ذلك نوح عليه السلام: لأن الله تعالى أخرج من أصلابهم كل من يكون مؤمناً وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وأخبر الله تعالى نوحاً عليه السلام بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذٍ دعا عليهم فأجاب الله سبحانه دعاءه فأهلكهم كلّهم ولم يكن فيهم صبيّ وقت العذاب.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٢٨)

دعا نوح عليه السلام لنفسه ولوالديه ولمن آمن به وللمؤمنين والمؤمنات على مر العصور (ولا تزد الظالمين) إلا هلاكاً ودماراً.

قال أهل التحقيق: دعا نوح عليه السلام دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله تعالى دعوته على الكافرين فاهلك من كان منهم على وجه الأرض، ونرجو أن يستجب أيضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً.

نوح عليه السلام في سطور:

لقد ذكر نوح عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومجموع السور التي ذكر فيها عليه السلام ٢٩ سورة، وأما اسمه عليه السلام فقد ورد ٤٣ مرة.

وقد أوضح القرآن المجيد أموراً مختلفة من حياته عليه السلام بشكل مفصل، وتتعلق أكثرها بالجوانب التعليمية والتربوية والمواعظ، وذكر المؤرخون ان اسمه كان (عبد الغفار) أو (عبد الملك) أو (عبد الأعلى)

ولُقب بـ نوح عليه السلام لأنه كان كثير النياحة على نفسه أو على قومه، وكان اسم أبيه (لمك) أو (لامك)، وفي مدة عمره عليه السلام اختلاف فقال البعض أنه عاش (١٤٩٠ سنة)، وجاء في بعض الروايات أن عمره (٢٥٠٠سنة)، وأما عن أعمار قومه الطويلة فقد قالوا (٣٠٠ عام)، والمشهور هو أن عمره كان طويلاً، وصرح القرآن بمدة مكثه في قومه وهي (٩٥٠ عاماً)، وهي مدة التبليغ في قومه، كان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد هم (حام) و (سام) و (يافث) ويعتقد المؤرخون بان انتساب جميع البشر يرجع الى هؤلاء الثلاثة، فمن ينتسب الى حام يقطن في القارة الأفريقية، والمنتسبون لسام يقطنون الشرق الأوسط والأقصى، وأما المنتسبون الى يافث فهم يقطنون الصين، وقيل أن المدة التي عاشها بعد الطوفان (٥٠ عاماً) وقيل (٦٠ عاماً).

وورد بحث مفصل عن حياة نوح عليه السلام في التوراة المتواجد حالياً، إلا أن هناك اختلافاً كبيراً بينه وبين القرآن المجيد، وهذا الاختلاف يدل على تحريف التوراة، وقد ذكرت هذه البحوث في الفصول (٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) من سفر التكوين للتوراة.

وكان لنوح عليه السلام إبن آخر يدعى (كنعان) وكان مخالفاً لأبيه، إذ رفض الالتحاق به في السفينة ففقد بقعوده هذا شرف الانتساب الى بيت النبوة، وكانت عاقبته الغرق في الطوفان كبقية الكفار، وأما عن عدد المؤمنين الذين آمنوا به وركبوا السفينة معه فقد قيل (٧٠ نفراً)، وقيل (٧ أنفار)، كان نوح عليه السلام أسطورة للصبر والمقاومة، وقيل هو أول من استعان بالعقل والاستدلال المنطقي في هداية البشر، بالاضافة الى منطق الوحي (كما هو واضح من آيات هذه السورة) وبهذا الدليل

يستحق التعظيم على العباد في العالم.

يحدثنا الامام الباقر عليه السلام عن نوح عليه السلام فيقول: «**كان نوح عليه السلام يدعو حين يمسي ويصبح بهذا الدعاء:**» أمسيت أشهد أنه ما أمس بي من نعمة في دين أو دنيا فإنها من الله لا شريك له، له الحمد بها عليّ والشكر كثيراً، فأنزل الله: (إنه كان عبداً شكوراً) فهذا كان شكره»[1]

وفي قوله تعالى: ﴿**رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً . .**﴾ قيل في معنى البيت هنا هو بيته الخاص، وقيل المسجد وقيل سفينة نوح، وقيل أيضاً هو دينه وشريعته.

وورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «**من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء**»[2]

دروس من سورة نوح عليه السلام:

الأسلوب في التبليغ ومنهجه:

﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**﴾ (٩)

التي جاء فيها حول دعوة نوح عليه السلام وهو تقديم برنامج عام لجميع المبلغين في طريق الله تعالى، والتي هي في نفس الوقت تسلي وتهديء

(١) بحار الأنوار: ج ١١/ص ٢٩١ / ح ٣
(٢) تفسير نور الثقلين: ج٥/ص ٤٢٩

أحاسيس النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين القلائل الذين كانوا قد التفوا حوله في مكة.

إنه عليه السلام لم يكن يتوقع أن يستجيب الناس لدعوته، كان يجمعهم في وسط المدينة التي يتمركزون فيها ثم يلقي فيهم خطابه الإلهي بهدوء واطمئنان، والناس يصغون إليه، ويشخصون إليه بأعينهم، بل يستفاد من سياق الآيات (وكما جاء أيضاً في بعض الروايات) أنه كان أحياناً يذهب الى بيوتهم، أو أنه يدعوهم في الأزقة والأسواق على انفراد ويبلغهم المفاهيم ويتحدث إليهم بتودد وتحبب وتصبر، وأحياناً كان يخاطبهم بأوامر الله تعالى علناً وبصوت عالٍ، وذلك باغتنامه فرص انعقاد المحافل ومجالس العزاء، ولكنه كان يقابل بالاهانة والاستهزاء وأحياناً بالضرب المبرح، ولكنه مع ذلك كان لا ينتهي عن ذلك ويواصل مسيره.

كان عليه السلام صبره عجيباً، والأعجب ما فيه رأفته، وهمته واستقامته الفريدة كانت رأس ماله في السير في طريق الدعوة الى دين الحق. والأعجب من ذلك هو أن طوال عمره الشريف الذي دام (٩٥٠) عاماً لم يؤمن به إلا ثمانون شخصاً، ولو قسمنا هذه المدة على عدد الأنفار يتضح لنا أن مدة هدايته لكل فرد دامت اثنتي عشرة سنة تقريباً !!

لو كان المبلغون يتعاملون بمثل هذه الاستقامة والهمة لأصبح الاسلام أكثر انتشاراً وإلتصاقاً بالمجتمعات والأفراد على مستوى العالم..

لماذا الفرار من الحقيقة:

نتعجب أحياناً ونتساءل هل يمكن أن يكون هناك أناس يعيشون تحت

هذه السماء ليس لديهم الاستعداد لسماع كلمة الحق بل يفرون منه ؟

التساءل عن السماع فقط وليس عن قبول الكلمة.

ولكن يتحدث لنا التاريخ عن كثرة أمثال هؤلاء. ليس فقط قوم نوح عليه السلام هم الذين وضعوا أصابعهم في آذانهم وغشوا رؤوسهم ووجوههم بثيابهم عند دعوته لهم، بل هناك فئة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبصريح القرآن الكريم كانوا يحدثون غوغاء بالصفير والصراخ العالي والطلب من القاعدة لديهم بعدم سماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليحولوا بين صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم المفرح وهو يتلو آيات الله تعالى وبين الناس: (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) [1]

وجاء في تاريخ كربلاء الدامية كذلك أنه عندما كان سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام يدعو الاعداء المنحرفين الى الرشاد والعمل على إيقاظهم أحدثوا صراخاً عالياً حتى كاد يخفى صوته [2]، وهذه الخطة والطريقة مستمرة الى يومنا هذا ولكن بأشكال وصور أخرى، فلقد وفّر أصحاب الباطل جواً من المسليات غير الصالحة كالموسيقى الراقصة والمواد المخدرة وغير ذلك يبغون بذلك الفصل بين الناس – وخصوصاً منهم الشباب – وبين سماع أصوات الهداية والايمان والرشاد الى سبل الخير والسعادة في الدارين.

الرابطة بين التقوى والعمران:

نستفيد من آيات عديدة في القرآن، ومنها الآيات من (١٠) الى

(١) فصلت: ٢٦

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥ / ص٨

(١٣) من سورة نوح عليه السلام، من أن الايمان والعدالة سبب لعمران المجتمعات، والكفر والظلم والخطايا سبب للدمار، فمثلاً نقرأ قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [١] وقوله سبحانه (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) [٢]. وآيات أخرى من هذا القبيل.

هذه الرابطة هي ليست رابطة معنوية فحسب، بل هناك رابطة مادية واضحة في هذا المجال أيضاً بالاضافة الى أن الرابطة المعنوية هي واضحة الآثار بصورة جيدة.

الكفر وعدم الايمان هو عين عدم الاحساس بالمسؤولية، وهو الخروج من القانون، وتجاهل القيم الأخلاقية، وهذه الأمور هي التي تسبب فقدان وحدة المجتمعات، وتزلزل أعمدة الاعتماد والطمأنينة، وهدر الطاقات البشرية والاقتصادية، واضطراب العدالة الاجتماعية. ومن البديهي أن المجتمع الذي تسيطر عليه هذه الأمور سوف يتراجع بسرعة، ويتخذ طريقه الى السقوط والفناء.

وإذا كنا نرى أن هناك مجتمعات يواجهون تقدماً نسبياً في الأمور المادية وذلك مع كفرهم وانعدام التقوى فيهم، فإن علينا أن نعرف ايضاً أنه لا بد من أن يكون مرهوناً بالمحافظة النسبية لبعض الأصول الأخلاقية، وهذا هو حصيلة ميراث الأنبياء والسابقين، نتيجة أتعاب القادة الالهيين والعلماء على طول القرون، وبالاضافة الى الآيات السالفة

---

(١) الأعراف: ٩٦
(٢) المائدة: ٦٦

هناك روايات كثيرة أيضاً اعتمدت هذا المعنى وهو أنّ الاستغفار وترك المعاصي يبعث على إصلاح المعيشة وازدياد الرزق. فعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أكثر الاستغفار تجلب الرزق**»[1].

وفي حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله تعالى ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله**».

وفي نهج البلاغة يقول: «**وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدر الرزق ورحمة الخلق، فقال سبحانه: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليك مدراراً**.[2]

والحقيقة هي أن الحرمان في هذا العالم سببه العقوبات على الذنوب، وفي الوقت الذي يتوب فيه الانسان ويتخذ طريق الطهارة والتقوى يصرف الله تعالى عنه هذه العقوبات.

نسأله سبحانه أن يوفقنا للاستفادة من سيرة حياة النبيّ نوح عليه السلام وأسلوبه التعليمي والتبليغي ويعلمنا منه الصبر على ذلك! إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج ٥/ص ٤٢٤

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٣

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. تفسير مجمع البيان، للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره
٣. تفسير الميزان، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (دقس سره) .
٤. مختصر الميزان في تفسير القرآن، سليم الحسيني.
٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٦. التفسير الكاشف، للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره.
٧. التفسير المبين، للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره.
٨. تفسير القرآن الكريم، للسيد عبد الله شبر قدس سره.
٩. بحار الأنوار، للعلامة المجلسي قدس سره.
١٠. أصول الكافي، للشيخ الكليني قدس سره.
١١. نور الثقلين، للعلامة الحويزي قدس سره.
١٢. وسائل الشيعة، للحر العاملي قدس سره.

الفهرس

المقدمة ٥

سورة يوسف عليه السلام ٧

فضلها: ٧

محتوى السورة: ٨

قصة يوسف عليه السلام قبل الاسلام وبعده: ٩

خصائص هذه السورة: ٩

(الآيات من ١-١٤) ١٠

اللغة والبيان: ١١

التفسير: ١٢

أحسن القصص ١٢

بداية قصة يوسف عليه السلام: ١٣

مواجهة إخوة يوسف عليه السلام: ١٤

أثر الحسد المدمّر: ١٥

المؤامرة المشؤومة: ١٦

(الآيات من ١٥-٣٠) ١٧

اللغة والبيان: ١٩

التفسير: ٢٠

الكذب المفضوح: ٢٠

نحو أرض مصر: ٢٢
يوسف عليه السلام في قصر عزيز مصر: ٢٣
عشق امرأة العزيز: ٢٤
مكر امرأة العزيز المفضوح: ٢٥
مؤامرة امرأة العزيز الأخرى: ٢٧
(الآيات من ٣١-٤٣) ٢٧
اللغة والبيان: ٢٩
التفسير: ٣٠
السجن بدون ذنب: ٣٢
السجن أصبح مركزاً للتربية والتعليم: ٣٣
رؤيا ملك مصر وما جرى له: ٣٥
(الآيات من ٤٤-٦٣) ٣٦
اللغة والبيان: ٣٨
التفسير: ٣٩
تبرئة يوسف عليه السلام من كلّ اتهام: ٤١
يوسف عليه السلام يصبح أمينا على خزائن مصر: ٤٢
اقتراح جديد من يوسف عليه السلام لإخوته: ٤٣
إقناع يعقوب عليه السلام بسفر بنيامين معهم الى مصر: ٤٥
(الآيات من ٦٤-٧٨) ٤٥
اللغة والبيان: ٤٧
التفسير: ٤٨
وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه: ٤٩
يوسف عليه السلام يخطط للاحتفاظ بأخيه: ٥٠
السقوط بسبب عدم الثقة بأخيهم: ٥٣

(الآيات من ٧٩-٩٥) ٥٤
اللغة والبيان: ٥٦
التفسير: ٥٧
رجوع الأخوة الى أبيهم خائبين: ٥٧
الصبر الجميل: ٥٩
اسعوا وحاولوا ولا تيأسوا فإن اليأس علامة الكفر: ٦٠
(الآيات من ٩٦-١١١) ٦٣
اللغة والبيان: ٦٣
التفسير: ٦٦
عاقبة أمر يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته: ٦٧
أصدق دروس للعبر: ٧٠
دروس من قصة يوسف عليه السلام: ٧٢
أثر القصة في حياة الناس: ٧٢
الرؤيا والحلم: ٧٣
التفسير المادي للرؤيا: ٧٤
يقول الماديون: يمكن أن تكون للرؤيا عدة علل: ٧٤
التفسير الروحي للرؤيا: ٧٤
حفظ الأسرار: ٧٥
خطر الحسد: ٧٦
لا قصاص ولا اتهام قبل الجناية: ٧٧
تلقين العدو الحجة: ٧٧
حبل الكذب قصير: ٧٨
ما هوالصبر الجميل: ٧٨
جهاد النفس: ٧٩

حماية الله سبحانه في لحظات الشدة والأزمة: ٨١
مكر امرأة العزيز: ٨١
السجن إما أن يكون مركزاً للارشاد أو الفساد: ٨٢
النفس الأمّارة: ٨٣
الشكر على الانتصار: ٨٥

سورة نوح عليه السلام ٨٧
فضيلة هذه السورة: ٨٧
محتوى السورة: ٨٧
(الآيات من ١-٢٨) ٨٩
اللغة والبيان: ٩٠
التفسير: ٩١
رسالة نوح عليه السلام الأولى: ٩١
ثمرة الايمان في الدنيا: ٩٤
والله أنبتكم من الأرض نباتاً: ٩٥
إن الله معك: ٩٦
على الفاسدين والمفسدين أن يرحلوا: ٩٧
نوح عليه السلام في سطور: ٩٨
دروس من سورة نوح عليه السلام: ١٠٠
الأسلوب في التبليغ ومنهجه: ١٠٠
لماذا الفرار من الحقيقة: ١٠١
الرابطة بين التقوى والعمران: ١٠٢
المصادر ١٠٥
الفهرس ١٠٧